الكاتب الفلسطيني

أحمد الحطاب

FACEBOOK: AHMED EL HATTAB

INSTAGRAM: AHMED EL HATTAB

لعنة تانتوك

أحمد الحطاب

لعنة تانتوك

الماهر للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة الأولى 2020

إهداء..

إلى كل من يُحارِبُ لِينجح

اِبتسم..

فأَنت لـها

لعنةُ تانتُوك

مقدمة

كان فاقدا للأمل كالمحكوم عليه بالإعدام قبل شنقه بلحظات، تفصل بينه وبين نهايته ثوانٍ معدودة ولكن ما باليد حيلة، وفجأة صدر بريقٌ لامع مزرق اللون من هذا الكتاب الملعون، فوضع كفيه على عينيه ليحجب هذا الوميض الشديد، بعد لحظات أزال سبابته اليمنى عن عينه ليرى ماذا يحدث، ظل هذا الوميض يلتفُ بشكل دائري مشكلا فجوة وأخذت تزداد في الحجمِ رويدا رويدا، نظر داخل الفجوة ليرى ذلك السور الشاهق الأسود، تلك الجمجمة الملطخة باللون الأسود التي تتوسط ذلك القصر.

وفجأة اختفت تلك الصورة من الفجوة لتظهر مكانها صورة رجلٍ واقف وسطها، كان عاري الجذع، يعطي ظهره لهذا الشاب وينعكس اللون الأزرق على جلدِ ظهره، فالتفتَ برأسه قليلا دون تحريك جسمه ورمى ذلك الشاب بنظرة غاضبة ثم قال بصوته الأجش:

-هل تريدُ المجد الأبدي؟

فهزَ الشاب رأسه بخوفٍ شديد دون أن يدرك ماذا قصد في سؤاله.. فردّ بصوتٍ أعلى من سابقه

-تعالَ معي إذن

فاختفى هذا الشخص الغامض.. ثم شعرَ هذا الشاب بجسده ينجذبُ نحو تلك الفجوة دون ارادته، حاول التمسك بأي شيء كي لا تلتهمه الفجوة، فلم يُحركْ ساكنا، فأطلق صرخةً كادت الجدران تتحطمُ من شدتها

(لييييييييييييين)

[عمار]

لن أدع اللا منطقية، تُسيطِرُ على منطقيتي

كانَ هذا الشعار الذي رفعهُ نسيم لمواجهةِ خبر موت صديقه خالد، ها نحنُ في الجامعةِ الآن، وها هو يجلسُ على مقعده في المكتبة التي اِعتاد أن يجلس فيها مع صديقه خالد، فقلتُ له وأنا أشفق على حالته:- نسيم، هيا لنذهب إلى القاعة، المحاضرة على وشك البدء، واصل نسيم شروده ملتزماً صمته، لكني أردفت قائلا:

-صدقني يا نسيم أشعر بما يخفيه قلبك من حُزنٍ وأسى على

فراق خالد، لكنها الأقدار يا صديقي ستصطادنا جميعا دون اِستثناء ولكل منا يومه.

فردَّ علي بعد أن نفض جسده عن المقعد بعنف وهو يحدق بي، قائلاً:

_خالد لم يمُتْ فغادرنا المكتبة وواصلنا سيرنا متجهين للقاعة، وكان لا يزال عشرُ دقائق تفصلنا عن موعد بدء محاضرة القانون التجاري، فحاولتُ إخراج نسيم عن صمته قائلا:

-ما رأيك في مادة القانون التجاري، أنا أواجه صعوبات كبيرة فيها، ماذا عنك؟ لم يذهلني رده كما أذهلني كسره لحاجز الصمت، اِلتفت إليّ واِعتلت وجهه تلك الابتسامة التي اِعتاد أن يرميها بوجهي قائلا:

_لم أواجه أي صعوبة في تلك المادة بقدر ما أواجه صعوبات مع سخافة ذلك الدكتور، ثم أردف قائلا:

_لا يكف عن التلفظ بتلك المعلومات الخاطئة ناهيك عن إعادة السيناريو اليومي، يدخل القاعة.. يلقي التحية.. يتحدث عن بطولاته مع صلاح الدين.. ثم مساعدته لهتلر على احتلال أوروبا إلى آخره.....

تعالى صوت ضحكتي وتبادلنا الحديث معاً، ثم نظرت له بجدية وقلت:

_أعتقد أنه اليوم سيقوم بتحرير فلسطين فأطلق ضحكتهُ رغما عنه ثم دخلنا القاعة.

خرجنا من المحاضرة مزمومي الشفاه من شدة الضيق، فقلت لنسيم:

_أنا جائع علينا أن نذهب للمطعم لتناول الغداء فقد قاربَ الوقتُ على الانتهاء رد عليّ:

-لنذهب إذن.

انتهينا من تناول الطعام وأخذ نسيم فنجان القهوة وذهبنا باتجاه حديقة الجامعة كعادتنا واسترحنا على المقعد المجاور للجدار لنستظل، كان نسيم في حالة شرودٍ تام، كأن جسده الحاضر فقط أما عقله فغارقٌ في التفكير، كان يرتشف القهوة فقط ولا يتحدث أو يتحرك، شفقتُ عليه من حالته السيئة وكنتُ أعلمُ صراحةً ما الذي يشغل باله، فقررت أن أفتتح الحديث معه، علَّني أُخفف عنه أو أجد لهُ حلا، فبادرت بالحديث قائلا:

_نسيم، ما الذي تفكر به لم يلتفت إليّ وواصل رشف القهوة ملتزما الصمت، فكررت عليه السؤال مرةً أخرى فقال بهدوء:

_ خالد.

نظرتُ له باستغراب وقلت:

ما به؟

ردَّ قائلا:

_لم يمُتْ.

هنا شعرت أن ما يقوله نسيم ناتج عن الحزن والصدمة فأردت أن أُواسيه:

_أُقدر شعوركَ يا نسيم لكن.....

شرب بقية كوب فنجان القهوة على دفعة واحدة وقاطعني بحدة قائلا:

_حتى هذه اللحظة لم تعثر عليه الشرطة منذ اِختفائه قبل شهر، ولا يوجد خبر مؤكد على موته ولو اِفترضنا أنه مات، لا أثر لجثته، الناس تداولت هذا الخبر فيما بينها بشكل واسع وبالغت فيه، فمنهم من قال أنه توفي في حادث سير ومنهم من قال أنه أَحرقَ نفسه كي لا يتم التعرف على جثته ومنهم من قال أن أهله تخلصوا منه لفساده وأخفوا جثته ألسنة الناس لا ترحم يا صديقي، فهي كالأفعى تلدغك وتضخ سمها فيك ثم أردف قائلا:

- لكن الحقيقة أنه لم يمت فقلت له:

_لكن كيف ستعثرُ عليه؟

فابتسم لي وقال:

غدا سنبحث عن أقرب الأصدقاء منه.

فبادلته الابتسامة وقلت:

_سنلتقي اليوم بمنزلك تمام الساعة الثامنة مساءً.

فنهضنا من على المقعد وقال :

_هذا ما كنت أُريد قوله، فهناك شيء أريد إخبارك به في المنزل.

[لين]

مرحبا صديقي، دعني أعرفك بنفسي، اِسمي لين أبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما، أدرس آداب اللغة العربية في جامعة الأزهر بغزة، التحقتُ بهذه الكلية بعد أن تحصلتُ على معدل 92% في الثانوية العامة، كانت عائلتنا مكونة من خمس أفراد لكن الآن أصبحنا ثلاثة، بعد اِستشهاد أبي وأُمي، شقيقي الأكبر معاذ يبلغ من العمر تسعة وعشرين عاما، وشقيقتي دعاء تكبرني بثلاثة أعوامٍ فقط، والآن دعني أُخبرك قصتي بكل حذافيرها.

كنت طفلة كباقي الأطفال تحظى بالعناية من والديها، كنت المدللة لدى أبي لدرجة أن شقيقتي دعاء تشتعل من الغيرة لامتلاك قلب أبي.

بدأت تلك الفاجعة في عام 2014 عندما شن الاحتلال الإسرائيلي الحرب على غزة في الثامنِ من يوليو، أُجبرت أمي لزيارة جدتي في منزلها بسبب سوء حالتها الصحية، وقررت الذهاب لوحدها دون مرافقتي ورغم شدة بكائي، لم تصطحبني معها بسبب الخطر في الخارج، وكانت منطقتنا (حي الرمال) تحظى بنوع نسبي من الأمان لعدم وقوعها على حدود غزة، المهم أن أُمي ذهبت لزيارة جدتي وبقي أبي معنا ليعتني بنا، مرت ثلاثة أيام منذ مغادرتها المنزل، لقد مرت بسرعة دون أن أشعر بها.

كنا جالسين في الصالة أنا وأبي وأشقائي نتبادل الحديث، إلى أن رن هاتف أبي ليخرجه من جيبه ويضغط على الزر الأخضر ويضعه على أذنه، تحدث قليلا مع أمي إلا أنني صرتُ أصرخ وأبكي، فأعطاني الهاتف لأتحدث معها، لقد صَمتت... اكتفيتُ بالبكاء فقط وسماع صوتها الذي كان

يشعرني بالدفء والحنان، إلا أنها قالت:

-لين حبيبتي، لماذا تبكين ؟

لم أرد عليها وواصلت البكاء، فأكملت:

_لا تبكِ عزيزتي، سيأتي والدك إليّ الآن وأعود لأحتضنك حالا

فكفكفتُ دموعي وكدتُ أطيرُ من الفرح إلا أنها أردفت:

-لين، أحبك.

ثم أغلقت الخط، فنهض أبي من مكانه وذهب لغرفته وإرتدى الملابس كعادته مستعدا لمغادرة المنزل، وأنا أركض في الصالة وأتطاير فرحا، إلا أنه إستوقفني صوت نداء أبي عليّ:

_لين

فذهبتُ مسرعة إليه لأستفسر عما يريده مني، فوقفتُ أمامه قائلةً:

_ما بكَ أبي؟

لم يرد على عبارتي لكن إرتسمت على وجهي علامات الدهشة من تصرفه الذي لم أعتد عليه بهذه الطريقة جثا على ركبتيه وأخذ يتحسس خدي بحنان والدموع تجمعت في مقلتيه وقام بتقبيل رأسي وإحتضنني بشدة، نعم اعتاد أن يحتضنني، لكن

أقسم لك أنها المرة الأولى التي يحتضنني فيها أبي وأنفجرُ بكاءً ثم انتهى فنهض وقال لي وداعا وانصرف.

جلستُ بجوار دعاء أمام التلفاز وكان أخي معاذ جالسا على الوسادة يطالع كتابا، وكعادتنا أنا وشقيقتي تشتعل الحرب بيننا أمام التلفاز، فأنا أفضل مسلسلات الكرتون وهي تتابع المسلسلات التركية والأفلام الأجنبية، لكن هذه المرة تقدم معاذ وأخذ آلة التحكم (الريموت) باحثا عن قناة الجزيرة ليرى ما يحدث في الخارج

عُرضت نشرة الأخبار على الشاشة وفي الأسفل مستطيل أحمر مكتوبٌ به:

خبر عاجل / استشهاد عائلة حربي الزيات، جراء إستهداف منزلهم من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي فنظرت للفيديو المعروض على الشاشة لأرى أن منزل جدي تم تدميره بالكامل، فنظرتُ إلى دعاء التي كانت تحملق في الشاشة وأدركت حينها أن الفاجعة قد حلت، فإنفجرت بالبكاء فنهضت دعاء كالمجنونة تحمل هاتفها وتتصل بأبي وأمي فنظرت إلى معاذ .. لقد إختفى من مكانه يبدو أنه ذهب إلى المنزل مسرعا.

تعالت أصوات صراخي أنا وأُختي بعد أن قامت نشرة الأخبار

بذكرِ أسماء شهداء العائلة التي تم اِستهدافها ليكون أبي وأمي وجدتي بل عائلة أمي بالكامل تم إبادتهم عن بكرة أبيهم ومنذ تلك الفاجعة ترك معاذ دراسته ليعمل في أحد المطاعم كي يغطي مصاريفنا، استمر الحال حتى 2018 وتزوج أخي وترك لنا المنزل وذهب للسكن في شقة مع زوجته بعد أن اِفتتح مطعمه الخاص به، كان يأتي إلينا كل أُسبوع في زيارة ليتفقد أحوالنا ويعطينا المال ويقوم بشراء حاجياتنا.

كنا نسكن أنا ودعاء في المنزل الذي تركه لنا والدنا، الواقع في حي الرمال، يبعد عن تلك العمارات السكنية قرابة الخمسين مترا، دعني أصف لك المنزل من الداخل، عندما تفتح باب المنزل تكون الصالة مواجهة لك، وعلى الجهة اليمنى توجد ثلاث غرف بجوار بعضهم البعض يفصل بينهم وبين الصالة ممر ضيّق وعلى الجهة اليسرى توجد حجرتي المطبخ والحمام، وعندما تصعد السلم وتصل إلى سطح المنزل، تجد غرفةً مسقوفة وجدرانها من الخارج بالية ممزوجة بالطحالب وبابها الحديدي متآكل من الصدأ، لأكن صريحة معك، لم نتجرأ في حياتنا أنا وأشقائي على الاقتراب من هذه الغرفة التي حذرنا منها أبي مرارا وتكرارا، لكن في الحقيقة لم يكن هذا

السبب الذي يمنعني من اقتحامها ومعرفة السر الغريب الذي يدور حولها، بل كان السبب الحقيقي هو أصوات الصراخ والأنين التي تصدر منها في الليل، لكن الغريب في الأمر أن أبي اِعتاد أن يدخل تلك الغرفة كثيرا.

يوما بعد يوم ازداد ارتباطي بشقيقتي وصرت أعتبرها أمي وأبي وصديقتي، كنت أُفرغ ما في جعبتي من أسرارٍ لها دون اكتراث، كانت دعاء قمحية البشرة، عسلية العينين طويلة القامة، وهذا ما سبب لها متاعب كثيرة من مضايقات الشباب في الجامعة، لكنها كانت تخفي خلف تلك الملامح الجميلة شخصية قوية وشديدة، تهين أي شخصٍ يتعرض لها، كنا نذهب سويا للجامعة حيث كانت تدرس في كلية التجارة مع حبيبها خالد، كنت أحبه حقا وأعتبره كأخي، كان شخصا طيبا جدا، حسنُ المظهر، كنتُ أراه أغلب الأوقات مع صديقٍ له يدرس في كلية الحقوق، أعتقد أن اسمه (نسيم)، عندما سألت خالد ذات مرة عنه، ذلك الشاب الأسمر الذي كان يفتك بقلوب الفتيات خاصةً عندما يرتدي قميصه الأسود ويمر من أمامهن، وتخترق أنوفهن رائحة عطره الطيبة، عيناه البنيتان، شعره الأسود الداكن، لم يكن ناعما جدا، لكنه يليقُ بشخصيته الجذابة،

لم أنسَ هيئته حقا، أحببت شخصيته، أحببت شدته، لم أرهُ مع فتاةٍ قط منذ دخولي الجامعة، كان في أغلب الأوقات مع خالد يرتشف القهوة، يبدو أنه من عُشاقها، وعندما رحل خالد أصبحت أراهُ طوال الوقت مع صديقه المهرج، الذي لم يترك فتاة إلا ولاحقها.

[نسيم]

دخلتُ المنزل الساعة الرابعة عصرا، فتوجهت إلى غرفتي مباشرة ومن ثم فتحت الدولاب وأبدلت ملابسي، غزاني شعور بالإرهاق والنعاس، فتمددت على سريري لآخذ قيلولة، لكن تذكرت أن عمار سيأتي إليّ الساعة الثامنة، فناديت على أمي وطلبت منها أن توقظني الساعة السابعة وأربعون دقيقة فأومأت برأسها إيجابا وانصرفت.

خاااااااااااااالد

ناديت عليه بدهشة بعد أن رأيته على منصةٍ بجوار قصر ضخم لم أرَ في حياتي مثله، كان خالد عاري الجذع والدماء تسيل من وجهه، كان يقول شيئا لكن هتافات ذلك الحشد العظيم من الناس التي كانت سعيدة جدا منعتني من سماع كلماته، اقتحمتُ الحشد مسرعا نحوه، كلما اِقتربت إليه ابتعد أكثر حتى توقف فجأة

فاصطدمت به، نظر إلي بحزن شديد وقال بصوت مبحوح يتخلله الرجاء:

_أنقذني.

قال تلك العبارة واختفى من أمامي، ثم سمعتُ صوتَ ركضٍ قادم نحوي، فنظرتُ تجاهه لأجد مجموعة من الجنود ترتدي ثياباً عسكرية خاصة بالعصور القديمة، كانوا يحملون السيوف والسهام والرماح وعلى رأس كلٍ منهم خوذة، تقدموا نحوي بسرعة كبيرة وعلامات الغضب تعتلي وجوههم، حتى اِنقض جندي منهم علي واِلتف حولي الآخرين ممسكين بي وأنا أُحاول التملص منهم بكل ما أُوتيت من قوة، ليقف أمامي جندي منهم ويغرس الرُمح في قلبي.

انتفضتُ من فراشي وتعالت أنفاسي وتبلورت حبات العرق على جبيني ووضعت يدي على قلبي، لأجد أُمي واقفة أمامي تنظر لي بِاستغراب، وبدأت أتذكر هذا الكابوس المزعج.

قاطعت كلماتُ أمي خيالاتي

_هل رأيت كابوسا يا بني؟

فنظرت لها بحزن وقلت:

نعم أُمي.

فأحضرت كأس ماءٍ بارد وجلست بجواري على السرير ووضعت كفها الدافئ على جبيني وبدأت بقراءة بعض الآيات القرآنية ولما اِنتهت قالت:

ماذا رأيت في الكابوس يا بني؟

فرفضتُ أن أُخبرها بالتفاصيل واِكتفيت بالقول:

_خالد.

فحاولت أُمي مواساتي وهي تربتُ على كتفي بحنان قائلةً:

_أعلم يا بني أنك تحبه ولا زلت تحبه، لكنها الأقدار يا عزيزي

التزمتُ الصمت واكتفيت بالقول لها:

سيأتي بعد قليل صديقي عمار لنطالع بعض الأبحاث، تعلمين يا أُمي أنه يحب الحلوى فاِصنعي له شيئا لذيذا، فهزت رأسها إيجابا وطبعت قبلة على رأسي وانصرفت.

[لين]

قبل شهرٍ من الآن، كنت أُساعد دعاء في المطبخ، كانت مسرورة جدا وهي تقلب الطعام الموضوع على نارٍ هادئة وعندما اِنتهت من الطهي قامت بتوزيعه على المنضدة، وضعت الوعاء الذي يحتوي على (المقلوبة) التي زينتها

بالدجاج المُحمر بالوسط ثم قامت بسكب اللبن في إناءين صغيرين وقامت بوضع بعض (المخللات) كما نسميها بالعامية الفلسطينية.

كانت مبتسمة طوال الوقت بدأت بتناول الطعام، فدفعني فضولي لسؤالها:

_دعاء، أراكِ سعيدة جدا هلا أخبرتِني عن سبب سعادتك؟

فردت وهي تلوك الطعام مبتسمة:

_غدا سيأتي خالد على الساعة الثالثة عصرا

بدت علامات الاستغراب على وجهي، فأردفت قائلة:

_سيأتي للمطالعة في المكتبة لفترة قصيرة.....

لم أتمالك نفسي من الدهشة، فقاطعتها قائلةً:

_هذا جنون يا دعاء، أنتِ تعرفين أن هذه الغرفة لم يدخلها أحد غير والدي الذي لطالما حذرنا مرارا وتكرارا من الاقتراب منها حتى و..

قاطعتني بعد أن اِنتهت من مضغ الطعام قائلةً:

_لقد حان وقت معرفة سر هذه الغرفة، ليس من المنطقي أن نموت من شدة الفضول دون معرفة أدنى شيء عنها فابتسمتُ رغما عني وأَزحتُ عيناي عنها وواصلتُ تناول الطعام.

[نسيم]

صوت ثلاث طرقات على الباب، أدركت هذه اللحظةَ أن عمار قد وصل، فتحت الباب ورحبتُ به وتبعني إلى غرفة الضيوف، فجلس على الأريكة، فأغلقت الباب وجلستُ بجواره، سألتهُ عن أحواله وكيف كان يومه إلى أن قال:

_لقد أخبرتني أنك تريد قولَ شيءٍ لي.

فنظرتُ له بجدية وطلبت منه أن يُصغيَ جيدا وقلت:

_هُناكَ فتاةٌ كانت تُراقبنا البارحة قاطعت عبارتي طرقات أُمي على الباب، فتقدمت وألقت التحية ووضعت الشاي والحلوى (بيتيفور) على المنضدة وغادرت.

قال عمار:

_حقا يا نسيم!! من هذه الفتاة؟ وماذا تريد؟ وكيف لاحظتها؟ ولمَ لم تخبرني البارحة كنت أكره من يقوم بطرح أسئلة ساذجة دون التحلي بالصبر والروية، فقلت له :

_عمار، دعني أُكمل حديثي وأردفتُ قائلا:

_في البداية كانت الفتاة جالسة على طاولةٍ في زاوية المكتبة تختلس النظرات لي، كنت أتظاهر بعدم الانتباه، كانت جميلة جدا، أكثر ما يلفت النظر فيها عيونها الزرقاء وشعرها البني

المسترسل، ترتدي ملابس أنيقة، المهم أنه في البداية ظننت نظراتها لي مجرد إعجاب، لكني أخطأت، كانت نظراتها لي تشي بأنها تريد إِخباري بشيء ما.
عندما ذهبنا لتناول الغداء، تحركتُ بخفة حتى اِختفيتُ عن أعينها، وتعقبتها دون أن تشعر ولمحتُها تدخل قسم الآداب قال عمار:

_وما الذي تريده الفتاة ؟

فقلت:

_لا أدري لكني أشعر أنها تريد إخباري بشيء ما فقال وشبح الابتسامة لاح على شفتيه:

_أعتقدُ أنها تريد رقم هاتفك أو حسابك على فيسبوك فنظرتُ له بجدية وقلت:

_لا أهتم لهذه الأمور السخيفة، غدا سأعرف ما السر الذي يدورُ خلفها.

_هل ستذهب لها وتسألها ؟

خرجت من فمه هذه الكلمات تحمل في طياتها علامات الغيرة، كأني أُريد أن أسأل محبوبته، فرميتُ اِبتسامة في وجهه وقلت:

_بل ستذهب أنت.

بدت علامات السرور ترتسم على وجهه، كنت أعلم أنه يعشقُ الفتيات ولهذا السبب لم أُخبره بأمر الفتاة البارحة وإلا لأفسدَ خطتي التي رسمتُها في رأسي.

قلتُ له:

_غدا سنلتقي في الثامنة صباحا لأُشير لك على الفتاة وتذهب لتستفسر عن سبب مراقبتها لنا.

فأومأ برأسه إيجابا ثم نهض من مكانه واِستأذن مني وغادر.

[لين]

الساعة 2:50

_لين، لا أُفضل أن تُظهري نفسك أمامه، لقد أخبرته أنكِ نائمة ولا تدرين بشأن هذه الزيارة قالتها دعاء وهي تَعقصُ شعرها أمام المرآة

فرددت عليها:

_ومن سيقوم بواجب الضيافة ؟

فربتت على كتفي وقبلت رأسي قائلةً:

_سيجلس 5 دقائق في الصالة وسيصعدُ مباشرةً إلى المكتبة .....

قاطع كلماتها ثلاث طرقات متتالية على الباب فقالت:

_يبدو أنه وصل، هيا بسرعة إلى غرفتك حبيبتي فانصرفتُ إلى غرفتي بسرعة وأغلقت الباب لكن فضولي دفعني للنظر من الثقب.

كان يرتدي قميصاً أبيضاً وبنطالا من الجينز، وساعتهُ البُنية في يده، جلس على الكرسي، وجهه مقابل لي وجلست بجواره دعاء، بدت علامات الجدية على وجوههم وهم ينظرون إلى بعض الأوراق ويشيرون إليها، لم أفهم شيئا، فاِكتفيتُ بالنظر فقط، استمروا على هذا الحال قرابة الخمس دقائق ثم نهضت دعاء وتبعها خالد إلى سطح المنزل، يبدو أنهم ذهبوا إلى غرفة المكتبة أخيرا.

خرجتُ من الغرفة بسرعة بعد أن تأكدت أنهم غادرو بالفعل، ذهبتُ للصالة لعلي أجد أوراقا أو ما شابه لأعرف ما الذي دار بينهم قبل قليل، لكن للأسف لم أجد أيّ شيء، لمحتُ بطاقة على الأرض، فحَنيت جذعي والتقطتها، كانت هذه بطاقة التعريف الوطنية الخاصة بخالد (بطاقة الهوية).

الإسم: خالد.

اللقب: الجيباوي.

نظرتُ إلى صورته وتأملتها قليلا، كان وجهه طفوليا جدا، يبدو أن هذه الصورة مضى عليها خمسُ سنوات.

أفزعني صوتُ صراخ دعاء، ذهبتُ بسرعة لأضع البطاقة بين أوراق الكتاب الجامعي، وركضتُ مسرعةً لمعرفة ماذا حدث لشقيقتي، وإذ بها تصطدمُ بي وتطرحني أرضا وتواصل الركض نحو غرفتها، نهضت من على الأرض وتبعتها بسرعة، لأنظرَ لها بذهول ودهشة، كانت جالسة على سريرها مرتكزةً بظهرها على الجدار وتعقد ذراعيها فوق ركبتيها، ودموعها تتساقط على وجنتيها، لم أتجرأ على سؤالها أو الاقتراب منها حتى، فقررتُ أن أذهب إلى المكتبة لأستفسر من خالد عن سبب بكائها وخوفها، إلى أن أوقفني صوتها المُتحشرج وهي تجهش بالبكاء قائلةً:

_إياكِ والاقتراب، خالد لن يعود.

منذُ ذلك اليوم تدهورت حالتها الصحية بعد أن أخذها أخي إلى مستشفى للأمراض النفسية لتتلقى العلاج المناسب، لكن لا أحد يدري ماذا حدث معها بالضبط حتى أنا لم أعلم ما الذي حدث معها عندما كانت تركض باكية.

حسنا إذاً، غدا سأعود لمراقبةِ نسيم مجددا، لقد سئمت من المنزل، سأُحاول التحدث معه بطريقة عفوية، لأرى إن كان سيجعلني صديقة مقربة منه أم لا.

الساعة 8:00 صباحا.

كنتُ في مبنى الآداب، في الطابق الرابع تحديدا، تعمدتُ الصعود للأعلى محاوِلةً رصد تحركاته دون أن يشعر بي، رأيته بالقرب من المكتبة مع صديقه في حيرة من أمرهم، وكأنهم يبحثون عن شخصٍ ما، يستديرون يمينا ويسارا، قررتُ الانتظار ليبتعد ذلك المهرج عنه وأذهب له فورا.

وكأنه قرأ أفكاري، تحدث مع صديقه وأشار له ناحية اليمين تجاه مبنى الحقوق وذهب هناك بالفعل فسرتُ مسرعةً لأغتنم الفرصة، وصلت للطابق الأرضي، وما إن نَزلتُ عن آخر درجة في السلم، لأركضَ مسرعةً في الساحة باتجاه المكتبة، لأصطدم برجُلٍ وأسقط على الأرضِ بقوة، تعثرت كتبي ودفاتري التي أحملها بيدي على الأرض، كان يقف كالصخرة، تجنبتُ النظر لوجهه تفاديا للإحراج، الكل ينظر إلينا، وأنا أنظر إلى كتبي المبعثرة على الأرض، فقلت له :أعتذر، كنتُ مُسرعة لأنني...

_لأنكِ تريدين البحث عني رنّت تلك الكلمات كالصاعقة في أُذني فرفعتُ رأسي لأجد نسيم واقفا أمامي فإنحنى بجذعِه ليلتقط الكتب والأوراق من على الأرض.

وفجأة تغيرت ملامح وجهه، نظر إليّ بغضبٍ شديد، تجمد الدم في عروقي عندما نظرتُ إلى يده لأجده قابضاً على بطاقة الهوية الخاصة بخالد.

[عمار]

أشار لي نسيم إلى مبنى الحقوق وطلب مني البحث عن تلك الفتاة التي وصفها لي مرةً أخرى، عيناها الزرقاوان، شعرها البني الذي ينسدل على ظهرها بنعومة، ذهبتُ بسرعة إلى المبنى محاولا البحث عنها.

_المعذرة، أأنت في السنة الدراسية الرابعة للحقوق ؟

التفتت خلفي لأجد فتاة جميلة جدا، دققت بتفاصيل وجهها جيدا لكن للأسف يبدو أنها ليست الفتاة التي أبحثُ عنها، فقلت:

_نعم.

ابتسمت لي وقالت:

أُريدُ طباعة آخر محاضرة للقانون التجاري بادلتها الابتسامة وقلت :لنذهب للمطبعة إذن أومأت برأسها إيجابا وسارت بجانبي.

[لين]

سبقني نسيم إلى المكتبة، كنتُ أتبعه بخطوات بطيئة مترددة وأنا أرتجف خوفاً، لو نظرتَ لعينيه لحظة وأنا أمسك هوية خالد لتجمدتَ في مكانك، لكن ما هوّن عليّ الأمر أنني أحبه.

دخلت المكتبة، لأراه يجلس على المنضدة في الشق الآخر منها الذي عادةً ما يكون عدد الطلاب فيه قليل، وكان يجلس وظهره بجهة الجدار وهو يحدق بي، لقد رأيت شرارةً في عينيه، وكأنه يريد أكلي حيةً، اقتربت من الطاولة وجلست مقابله، تمالكت نفسي وحاولت إخفاء خوفي منه، كان غاضبا جداً، فبادرتُ بالحديث قائلةً:

أعتذر، كنتُ مسرعة حينَ اصطدمت بك.

فوضع بطاقة الهوية وسط الطاولة وضرب عليها بكفه ضربة خفيفة متجاهلا اعتذاري وقال:

ما علاقتكِ بخالد؟

فقلت له بتَلعثُم:

خالد ؟؟ م ... من خالد ؟؟

فضرب ضربة أقوى من سابقتها، مرددا نفس السؤال بنبرة حادة، لم أجد مَفراً من سؤاله، فقلتُ له:

_حسنا يا نسيم سأخبرك .....

قاطعني وعلامات الاستغراب اعتلت وجهه.

_عفوا، هل تقابلنا من قبل ؟

أصابني الإحراج من سؤاله، فقررت أن أكتم موضوع إعجابي به وأخبرته بقصة خالد كاملةً، فكنتُ واثقة أنها خيرُ طريقةٍ لجعله على تواصل دائم معي، فأجبته :

_حسنا نسيم اصغِ إليّ جيدا، سأقص عليك ما حدث لخالد.

[عمار]

_لقد تشرفت بمعرفتك عمار، أراك لاحقا قالت الفتاة تلك الكلمات بعد أن اِنتهت من طباعةِ الأوراق فرددت عليها قائلا:

-إلى اللقاء.

غادرتُ المكان مسرعا للمكتبة حتى وصلتها، وهنا أصابتني الدهشة مما رأيت، فقد كان نسيم جالساً مع الفتاة التي كنت أبحث عنها

لقد كتمتُ غيظي منه واِتجهت نحوهم وألقيت التحية وجلست،

نظرت لي الفتاة باستغراب، كان نسيم يحدق بعينيها وعلامات الدهشة ترتسم على وجهه، فقالت لي الفتاة:

_المعذرة، أريد التحدث مع نسيم على اِنفراد تَلت هذه الجملة منها نظرةٌ إليّ من نسيم، ففهمت ما يريد قوله، واشتعل كل شيء داخلي، لوقاحة هذه الفتاة، كان بعض الطلاب ينظرون لي ويتهامسون، يبدو أنهم يضحكون من هذا الموقف المُحرج، جلستُ على طاولةٍ فارغة على يمينهم تماما، منتظرا اِنتهاءهم من الحديث.

[لين]

_حسنا إذن، لم يَخِبْ ظني قالها نسيم وهو يحك رأسه في حيرة من أمره، ثم أردف قائلا:

_سآتي إلى منزلك الساعة التاسعة مساءً وسأصعد مباشرة إلى المكتبة التي دخلها خالد، آملاً أن أجد أثراً يقودني إليه فرددت عليه:

لكني نصحتك يا نسيم، الأمر خَطِرٌ جدا، وأنت ستجازف بحياتك فرد ببرود شديد:

لا تقلقِ سأتصرف فنظرتُ إلى ذلك المهرج بطرف عيني وكان محملقا بي، فالتقت أعيننا ببعض ورأيت الغضب فيها، وقلت بصوتٍ خافت لنسيم:

_لماذا لا نرسل عمار ليرى ما في غرفةِ المكتبة، أعتقد أنه الشخص المناسب.

فرماني بنظرةٍ غاضبة وقال بحدة:

-لن أجعل صديقي فأراً للتجارب.

_حسنا إذن لا تخبره بما دار بيننا وبشأنِ زيارتك لي أيضاً فأومأ برأسه إيجابا، وأشار لعمار أن يأتي لمشاركتنا الجلوس، فأتى مزموم الشفاه، والغضب يخرج من عينيه فقال له نسيم:

_هذه الفتاة اسمها لين، تُريد مُساعدةً في سحبِ بعض الكُتب ، فقد أضاعت بطاقتها، اصطحبها معك للمكتبة واِسحب لها كُتباً على بطاقتك الشخصية.

ثم ضرب قدمي بخفة من تحت الطاولة، فقد فهمتُ قصده، يريد التمويه كي لا يعلم صديقه بحقيقة ما دار بيننا وكذلك ليمتص غضبه، يا له من ذكيّ ماكر.

ابتسم عمار لأنه سيرافقني، لم يعجبني هذا، لكن على أي حال يجب أن أنصاع لما قاله نسيم، وأذهب معه.

_حسنا يا رفاق، علي الذهاب ، أراكم لاحقا قالها نسيم بعد أن نهض من مكانه وأكمل سيره حتى غادر.

انتهيتُ من عمار، ووصلت إلى المنزل، وذهبتُ بسرعة لغرفة دعاء لأتأكد أنها ما زالت في بيت أخي، كل شيء جيد، سيأتي نسيم دون أن تَشعر.

[نسيم]

الساعة 8:00

لقد أصابني الإرهاقُ حقا، كانت مقابلة لين بالنسبة لي كطوقِ نجاة، أنا متحمسٌ جدا، يفصلني عن معرفة ما حدث لخالد القليل، القليلُ فقط.

ذهبتُ مسرعا للدولاب وارتديتُ قميصا أسود اللون، وسروالا أزرق من الجينز، وارتديتُ ساعتي السوداء، وقمت برش القليل من العطر، رن هاتفي فنظرتُ للشاشة ليكون المتصل لين، فضغطت على الزر الأخضر ووضعت الهاتف على أُذني، فقالت لين:

مرحبا نسيم لقد اِتصلت بي دعاء وأخبرتني أنها ستنام الليلة في منزل أخي، تعال بسرعة.

فقلت لها:

حسنا لين، أنا جاهز الآن، سوف أخرج من المنزل.

اغلقتُ الخط، وخرجتُ من المنزل، واِتجهتُ إلى الشارع الرئيسي باحثا عن سيارة أجرة، فأشرتُ بيدي حتى توقفت السيارة، فتحت الباب وجلستُ بجوار مقعد السائق ووضعتُ حزام الأمان.

كان الرجل كبيرا في السن، على حافةِ الستين من عمره، وقد فَقد جزءًا لا يُستهان به من شعره.

_ إلى أين يا بني قالها السائق بود، فابتسمت له وقلت:

_ شارع الرمال، مقابل العمارات السكنية فرد لي الابتسامة قائلا:

إن شاء الله.

استغرقنا قرابة النصف ساعة في الطريق بسبب الازدحام المروري، فغزة هي المدينة الأكثر كثافة سكانية في العالم.

قلتُ للسائق:

أنزلني هنا.

فَركنَ سيارته بجانب الرصيف وناولته الأُجرة وخرجت.

نظرتُ إلى الشارع وأخرجتُ الورقة التي وضعت فيها لين عنوان منزلها بالضبط وتحته رقم هاتفها لأقرأها مجددا.

كان شارع الرمال من أرقى أحياء غزة، فليلهُ نهار، كشوارع القاهرة تماماً، تعجُّ بالسكان ليلا، فكل شيء موجود في هذا الشارع، المحلات التجارية، سائقي السيارات، بائعي الألعاب، أشخاص يقومون بعرض حركات بهلوانية، ويوجد أيضا مكان يسمى (الجُندي المجهول) كان هذا أشهرَ مكان في هذا الحي، يأتي إليه الأهالي والأصدقاء، يتسامرون فيما بينهم ويتركون أطفالهم يمرحون أمامَ أعينهم في الألعاب الموضوعة في الشارع.

نظرتُ للأمام لأجد العمارات المرصوصة بجانب بعضها البعض، ونظرت للورقة المكتوب فيها أنه يجب قطع هذا الشارع ثم أن أدلف لليمين قرابة الخمسين مترا لأصل إلى المنزل، وهذا ما حدث بالفعل، رأيت ذلك المنزل بعد أن انتهيت من السير، تقدمتُ ناحية الباب وطرقت ثلاث طرقات

[لين]

ذهبتُ مسرعة لفتح الباب بعد أن سمعت الطرقات عليه وأجلسته في الصالة وجلست بجانبه.

بدا عليه أنه لم يتمالك نفسه من الفضول فقال:

- أين السُّلم، أُريد الصعود للمكتبة فأجبته بنبرةٍ قَلِقة:

-هلا وعدتني يا نسيم ؟

نظر لي بِاستغراب وقال:

_بماذا ؟

فأجبت قائلةً:

_أن تعود سالماً.

فأومأ برأسه إيجابا ثم خرجت من باب المنزل متجهةً ناحية السلم وهو يتبعني، وما إن وصلنا إلى الغرفة وهو ينظر إلى جدرانها البالية الممزوجة بالطحالب وبابها المتآكل من الصدأ، تحسسه وطرق عليه بقبضةِ يده ليكتشف أنه قوي جدا.

كانت السماءُ مظلمة، إنارةُ نوافذ العمارات السكنية تمدنا بالضوء الخافت، كنت أَقف خلف نسيم الذي كان واقفاً كالصخرة مقابلا لباب الغرفة وهو يتأمل به.

_لين انتظريني في الأسفل قالها نسيم بنبرةٍ واثقة، فرددت عليه والدموع تجمعت في مقلتاي:

_نسيم.

فأدارَ رأسه تجاهي وقال:

_ماذا ؟

فقلتُ له:

عدني مرةً أُخرى فقال:

-أعدكِ أن...

قاطع كلماته صوت ثلاث طرقات على الباب، فأدركت أن دعاء قد أتت فجأة على غير العادة، فقلتُ له بجدية:

_يبدو أن دعاء قد أتت، أدخُل الآن، وعندما تخرج لا تنزل للأسفل بل ابقَ مُنتظرا في الداخل واِتصل بي، فلا أريد أن تعلم دعاء بأنك هنا وإلا سأكون في ورطة، فهز رأسه إيجابا وركضتُ مُسرعةً إلى الأسفل.

[نسيم]

وقفتُ مواجها للباب، كُلُّ ما يدور في بالي هو كيف سأعثرُ على طَرف خيطٍ يقودني لمعرفةِ مصير صديقي خالد، وكنتُ مُتيقنا أني سأجد هذا الخيط داخل الغرفةِ التي كانت آخرَ مكانٍ دخلهُ خالد. حسناً إذن، سأدخلُ الآن.

تقدمتُ ناحيةَ الباب ودفعتُه بيدي فأصدر صريرا مزعجاً كالذي نسمعهُ في أفلام الرعب، كانت الغرفة تعبق برائحةٍ نتنة وكأني دخلتُ قبرا للتو، مددتُ يدي باحثا عن مفتاح الإضاءة وأنا أتحسس الجدار حتى وجدته وضغطت عليه لتشتعل إضاءة

المصباح المعلق بسقف الغرفة، كانت تحفه خيوط العنكبوت التي تجمعت عليه وعلى زوايا الغرفة فيُشّع هذا المصباح ضوءه الأصفر الخافت لتنعكس خيالات خيوط العنكبوت على جدران الغرفة والأرض في مشهد مُريب، أدرت عيني يمينا ويسارا متفحصاً للغرفة، التي كانت جدرانها قديمة بالية مشبعة بالرطوبة، ولا توجد سوى نافذة صغيرة مغلقة بلوحٍ خشبي يتوسطه ثقبان صغيران بالكاد تتخلل منهم الإنارة المنبعثة من نوافذ العمارات السكنية، وفي الزاوية اليُمنى تحديدا يوجد مكتبة صغيرة تحتوي عددا كبيرا من الكتب التي رُصَّت بطريقة منتظمة، تُشعر من يراها أن صاحب هذه المكتبة على درجة علمية كبيرة، وعلى الجهة اليسرى مقابل هذه المكتبة يوجد صندوق حديدي مُطعَّمٌ بالنحاس قد تآكلت أطرافه وحوافه بفعلِ الصدأ، ويتوسط هذه الغرفة مَكتبٌ خشبيٌ صغير عليه بعض الكُتب المُغلفة بالغبار، وكانَ بعضُها مفتوح والبعضُ الآخر مغلق، نظرت للسقف مرةً أُخرى، لكن لحظة.....

تسمرتُ في مكاني وأنا أُحملق في خيوط العنكبوت التي تشكّلت على هيئةِ جماجم تتوزع في زوايا الغرفة.

أفزعني صوت حركة غريبة فالتفتتُ بسرعة ناحيةَ مصدر الصوت لأجد الصندوق الحديدي تحرك مسافةَ مترٍ إلى اليسار، سَرَت بجسدي قشعريرة، لقد تأكدت أن الغرفة مسكونة، بقيتُ ساكنا لوهلة ناظراً نحو الصندوق، قرأتُ آية الكرسي وأغمضتُ عيناي وأخذتُ أُتمتم ببعض الأدعية، وابتلعتُ ريقي مستعيداً رباطة جأشي، وقررتُ التقدم ناحية الصندوق، ففتحتُ عيناي.....

ما هذاااااااااااا..... عاد الصندوق لمكانه اقشعر بدني وكأن صاعقةً ضربت رأسي مُباشرةً، لم أتمالك نفسي من هول الموقف، الغرفة مسكونة فعلاً لا مجال للشك، لكن حاولت الكذب على نفسي كي لا يُدَبُّ الرعب في قلبي، فأقنعت نفسي بأن ما حدث مجرد تخيلات وأن الصندوق لم يتحرك من الأساس، وأن ما حدثَ ناتجٌ عن الخوف.

تقدمتُ ببطء نحو الصندوق، فجثوتُ أمامه على ركبتاي، وأزلتُ الأتربة عنه بكفي ثم قمت بفتحه، ومددتُ رأسي لأرَى ما بداخله، فوجدتُ كتاباً، قمتُ بجذبه ومسحتُ غلافه بكفي.

(تانتوك)

كان هذا عنوانُه، تأملتُ غلافه قليلا، لأجد سوراً شاهق

الارتفاع مطليٌّ باللون الأسود ويلتفُ بشكلٍ دائري، وفي الداخل قصرٌ تتوسطه جمجمة كبيرة ملطخةٌ بشكلٍ عشوائي باللون الأسود.

تذكرتُ شيئاً ..... مهلا نظرتُ بسرعةٍ إلى الجمجمة الملطخة باللون الأسود في غلاف الكتاب، فتذكرتُ خيوط العنكبوت، فرفعتُ رأسي بسرعة لأرى الجماجم في زوايا الغرفةِ قد اِمتزجت بسائِلٍ أسود تَكورَ على خيوطها، لأشاهدَ منظراً مرعباً أكثر مما هو مقزز.

لم أتمالك نفسي هذه المرة، سقط الكتاب من يدي، وتراجعتُ للخلف واِندفعت بقوة ناحية الباب محاولاً الهرب، فتفاجأتُ أن الباب قد أغلق من تلقاءِ نفسه، فقمت بالضرب عليه بقوة وعنفوان، فرجعت ثلاث خطوات للخلف لأندفع بقوةٍ كي أصدمه في كتفي، لكن لم يتغير شيء ارتعشت الإضاءة حتى اِختفت تماماً، وصدر صوتُ صرخةٍ مدوية اِهتزت جدران الغرفة من شدتها، فسقطتُ أرضا واِستندت بكفاي ناظراً للكتاب، وزحفتُ مبتعداً ناحية الجدار لأعقد ذراعي على ركبتيّ.

كنتُ فاقدا للأمل، كالمحكوم عليه بالإعدام، قبل شنقه بلحظات، تفصل بينه وبين نهايته ثوانٍ معدودة، وفجأة صدرَ بريقٌ لامع مزرق اللون من هذا الكتاب الملعون، وضعت كفاي على عينيّ لأحجب عنهما هذا الوميض، أبعدتُ سبابتي اليمنى لأرى ما حدث، ظل هذا الوميض يلتف بشكل دائري مُشكلا فجوة، أخذت تزداد في الحجم رويداً رويدا، نظرتُ داخل تلك الفجوة، ذلك السور الشاهق، تلك الجمجمة الملطخة باللون الأسود.

اختفت تلك الصورة منها لتظهر صورة رجلٍ واقف وسطها، كان يعطيني ظهره وهو عارٍ الجذع، ينعكس اللون الأزرق على جلده، فالتفتَ برأسه قليلا دون تحريك جسده ورماني بنظرة غاضبة ثم قال بصوته الأجش.

-هل تريدُ المجد الأبدي؟

فهزَزتُ رأسي بخوفٍ شديد دون أن أُدرك ماذا قصد في سؤاله فقال بصوتٍ أعلى من سابقه:

-تعالَ معي إذن.

فإختفى هذا الشخص الغامض ..ثم شعرتُ بجسدي ينجذبُ نحو تلك الفجوة دون إرادتي، حاولتُ التمسك بأي شيء كي لا

تلتهمني الفجوة، فلم أُحركَ ساكنا، فأطلقتُ صرخةً كادت الجدران تتحطمُ من شدتها

(لييييييييييين)

[لين]

نزلت درجات السلم وقلبي ينبض بشدة مع كل خطوة أخطوها تجاه الباب، راودني شعورٌ سيء، فلو علمت دعاء أن شخصا غريبا دخل المنزل ربما تكونُ نهايتي.

فتحت الباب فدخلت دعاء دون مبالاة بينما كنت أسيرُ متجهة لغرفتي وإذ بصدى صوتٍ عالٍ قادم من السطح (لييييييييين) لا أدري ماذا حدث لي لحظةَ سماعه، ركضت مسرعة تجاه سطح المنزل لأتفاجأَ بيد دعاء تجذبني، فقلتُ لها:

_ما بكِ دعاء ؟

فردت:

_إلى أين؟

فقلتُ لها مُتلعثمة:

_لا .. لا شيء فقط أُريد الذهاب لسطح المنز.....

_بل تريدين الذهابَ لنسيم.

كدتُ أن أُصعق لحظة سماعي لتلكَ الكلمات، لقد كُشف الأمر لا محالة، اِكتفيت بالبكاءِ فقط واِرتميت بين ذراعيها باكيةً وهي تربت على ظهري بحنان وتقول :

_كنت أعلم كل شيء بشأن هذا الموعد لهذا غادرت المنزل وعدت فجأة واصلت بكائي وأنا أُردد:

_سامحيني يا دعاء، سامحيني.

فحَملت رأسي بين كفيها، ورمت اِبتسامة في وجهي وقالت:

لا عليكِ عزيزتي، إنسِ الأمر.

فنظرت لها بحزن شديد، وقلت بتردد:

أُريد الذهاب للسطح على الأغلب أن نسيم ناداني لأنه يريد المغادرة

فردت عليّ وهي تكمل طريقها إلى الغرفة دون اكتراث

_لا داعي للذهاب، فقد رحل نسيم كما رحل خالد قبله، فلن يعلم أحد بمصيره، فإما أن يعود وإما أن يختفي للأبد فقلت لها باستنكار:

_فلماذا كنتِ تفضلي أن يدخل غرفة المكتبة بما أنكِ تعلمين أنه من المُحتمل ألّا يعود.

فلاحَ شبحُ الابتسامةِ على وجهها وقالت بثقة:

_لا تنسي أنه ليس بالشخص الهيّن، فأنا أثق أنه سيعود يوما ما ويأتي بأخبار عن خالد ثم أردفت:

_وبهذا نكون علمنا أسرار هذه الغرفة بالتفصيل قالت هذه الجملة وهي تكمل طريقها إلى الغرفة إلا أنها توقفت عند بابها وقالت :

_بالمناسبة لا تخبري أحدا بما حصل معه وخصوصا صديقه عمار، ثم أغلقت الباب خلفها.

لا أعلم كيف علمت تلك الأسرار بهذه الدقة، على كل حال سأذهب إلى السطح لأتفقد نسيم عسى أن تكونَ مُخطئةً صعدتُ للأعلى ووقفتُ أمام الباب وطرقتُ عليه بإستمرار، لكن للأسف ..... لا إجابة.

[نسيم]

الرؤية مشوشة تماماً، ما الذي حصل لي بحق الجحيم، استندتُ على كفيَّ بعد أن كنت ممدداً على الأرض، ففركتُ عيناي لتتضح الرؤية قليلاً، كنت أشعر بالألم من أثر السقوط، بقيتُ على حالتي لوهلة محاولا تذكر ما حصل، لا أذكر سوى صورة ذاك الرجل الذي خرج من تلك الفجوة قبل أن تلتهمني

بلحظات، كانت كلماته الأخيرة عالقة في ذهني ولم أفهم أدنى شيء منها.

_هل تريد المجد الأبدي؟

_تعال معي إذن ؟

فنهضت على قدميَّ لأُلقي نظرة على المكان، كان الجو بارداً قليلا ويوجد أمامي أشجار منتشرة بشكل كثيف بدا لي وكأنني في غابة، لا يوجد أي أحد، فباشرتُ السير علّني أجد شخصا يرشدني إلى الطريق لأستفسر منه عن هذا المكان الغريب الذي وجدتُ نفسي فيه، فإلتفتتُ يمينا ويسارا لأتفحص المكان جيدا، لا أسمعُ سوى نُباح الكلاب وأصوات الأغصان التي تهش تحت قدمي.

يبدو أن هناك شخصا ما، فالإنارة تنبعث من بعيد، باشرت الركض بشكلٍ سريع ليلتفَّ حبلٌ حول ساقي ويرتفع إلى الأعلى، لأجد نفسي مُعلقا في غصن شجرة مرتفعة، فصرختُ من شدة الألم وأنا أنظر بالمقلوب لما حولي، لكن لم يظهر أحد، تبا ما الذي يحدث، أين أنا، أشعر أنني واقِعٌ في شباكِ الهنود الحمر ولم يبقَ سوى القليل على أن أُصبح طعاما لذيذا لهم.

سمعتُ صوت حركةٍ غريبة، لتشتعل المصابيح فجأة وتحيط بي حلقة من الجنود، كلٌ منهم يحمل سيفا في يمينه ومصباحا في يساره، أُناسٌ غريبو الأطوار، يرتدون ثيابا مغايرة تماما لما نرتديه، فهو مشابه للعصور القديمة، يبدو أنهم من عالم، كلهم ينظرون إلي وأنا معلقٌ من ساقي.

_هل أنت من الشرق؟

قالها شخصٌ منهم بعد أن تقدم عنهم ببضعِ خطوات فرددت عليه ورأسي يكاد ينفجر من الألم :

_نعم أنا من الشرق.

تعالت أصوات هتافاتهم وهم يرددون بكل فرح وسرور

_سننتقم يا سامو، سننتقم يا سامو فسحب ذلك الشخص سيفه في إشارة منهُ بأن يصمتوا ثم قال:

_تقول أنك من الشرق أيها الحقير فقلت له والدوار قد فتك برأسي

_نعم أنا من الشرق ، لكن من أنتم وأين أنا؟

فأجابني بغلاظة:

_أنت من الشرق ولا تعرف من نحن!! غدا سأُرسلُ رأسكَ إلى سامو وستعرف حينها من نحن ثم أكمل:

فكوه وأبقوه في السجن وليخبر أحدكم الزعيم قيس بشأنه.
ألقوا بي داخل الزنزانة وكنتُ برفقةِ سجينٍ آخر كان في أسوء حالاته جراء الضرب الذي يتعرض له، كان هذا السجين مكبل اليدين والقدمين، وعاري الجذع لا يرتدي سوى بنطالاً فضفاضاً بدا وأنه قديم، وذلك السجان يمسك السوط ويجلد السجين به بقوة، كادت أحباله الصوتية تنقطع من شدة الصراخ، لكن الغريب في الأمر أن هذا السجان يجلد به دون أن يُزيح نظره عني البتة، والنار تشتعل في عينيه، وكل ضربة تكون أقوى من سابقتها، لكن ما فاجأني حقاً أن آثار الدماء على جسد ذلك السجين كانت سوداء، فظننت أن ذلك بسبب عدم الاهتمام بجروحه.

_كم كنتُ أشتهي أن أضعك مكان هذا الوغد.

قالها الجلاد وعلامات الغضب اِرتسمت على وجهه، فرددتُ عليه ببرود:

_وما المانع ؟فرد قائلا :

_هناك أوامر من الزعيم قيس بعدم إيذائك ثم أردف بعد أن ضرب السجين مرةً أخرى بسوطه:

_أرأيتم كم نحن رحماءٌ بكم يا عبيد سامو!!

فقلت باستغراب:

_من قيس ومن سامو فتركَ السوطَ من يده وانقضّ عليّ ليُمسك قميصي بقبضتيه لأقف مواجها له ، فقال:

_أتحاول الاستهزاء بي ؟

كنتُ سأرد عليه لولا دخول أحد الجنود للزنزانة ليقول له بلهجةٍ آمرة أن يتركني وأشارَ إليّ أن أتبعه.

[سمر]

مرحبا صديقي، أنا سمر، تلك الفتاة التي وجدت نفسها تقطن جبال قوباس، أبلغُ من العمرِ عشرين عاماً لكن هذا لن يُفيدك كثيراً، فيمكنُك القول أنني خُلقت لأموت، وها أنا أنتظر هذا اليوم الفاصل الذي سيحتفل فيه أحد الأقوام بموتي .

فمنذُ أن وُلدت كنتُ بحاجة لتفسيرِ بعضِ الأشياء، لكن للأسف، لطالما سألتُ زعيمنا قيس عنها فيتملصُ منها دون إجابات، فلم أعرف سبب تتبُع الحراس لي طوال الوقت، وأنا مجرد طفلة كباقي أطفال قوباس ولا سبب أمري بإرتداء وشاحٍ صغيرٍ على وجهي يُظهرُ عيناي فقط، ولا حتى سببَ إرغامي تَعلمُ فنون القتال العسكرية.

مع الوقت، كبرتُ رويدا رويدا ونضج عقلي وبدأتُ أعرفُ

بعض الأسرار عن أرضِ تانتوك التي يوجدُ شرقها المنطقة الملكية التي يقطنها الملك سامو وحاشيته وشعبه، ومن الغرب المنطقة الصناعية.

يبدو أن حدثا هاما سيحدث، فقد فُتحت بوابة قصرِ الزعيم قيس، سأكملُ لكَ قصتي لاحقا.

كنتُ أنظرُ من أعلى، فإذ بالحارسان يتقدمان تجاه الزعيم قيس الجالس على عرشه بِشابٍ مكبل الأيدي والأقدام، وأمراه بالركوعِ على ركبتيه وسط البِساط الأحمر الذي يُفضي في نهايته عندَ قدمي الزعيم قيس، كان هذا الشاب الأسمر وسيما للغاية، يحدّق بعينيه البنيتين بزعيمنا وكأنه يتحداه ليقول له الزعيم قيس بصوتٍ غاضب:

_ما المهمةُ التي أُرسلتَ لأجلها ؟

فرد عليه الشابُ بهدوء:

_لمْ يُرسلني أحد، كما أنني لا أعلم كيفَ أتيتُ إلى هنا.

فقال الزعيم قيس بعد أن قطّبَ حاجبيه:

_أتعلم! لا مانع لديّ من قتلك بل وحرقك حيا، وأعتقد أني سأفعل إن لم تخبرني بالحقيقة.

رد عليه الشاب بلا مبالاةٍ لهذا التهديد:

_وما الفائدة من قول الحقيقة إن لم تصدقوها.

فقال الزعيم قيس بعدما نهضَ عن عرشه متجها إليه:

_حسنا، أخبرني بما لديك.

فأخبرهُ هذا الشاب بقصته كاملةً منذ دخوله لتلك الغرفة إلى غاية هذه اللحظة، كان الزعيم قيس يُصغي لهُ جيداً، وعلى ما يبدو أنه اِقتنع بما قاله الشاب، فقال له:

_وما الذي تُريده الآن ؟

فرد عليه الشاب:

_أُريد العودة من حيثُ أتيت.

فقال له الزعيم قيس:

_لا أعلم كيف تعود، لكن على كل حال سأُطلق سراحك غدا، أما هذه الليلة فسأُبقيكَ في السجن.

رد عليه الشاب بغضب:

_ولمَ لا تدعني أذهب الآن ؟

فقال الزعيم قيس بعد أن أدار ظهره وعقد ذراعيه خلفه متجها لعرشه:

_هذه الليلة، هي الليلة القمرية الأخيرةُ من هذا العام ، سأُبقيك هنا حفاظا على حياتك لا أكثر.

فقال الشاب وعلامات الغرابة على وجهه:

_وما المشكلة فيها ؟

فرد عليه الزعيم قيس:

_لا أملكُ وقتاً للشرح.

ثم أمرَ الحارسين بإبقائه في السجن حتى الغد.

[نسيم]

لا أعلم شيئا عن الوقت، كل ما أعلمه أن الحرارة مرتفعة في هذه الزنزانة والظلامُ حالك في الخارج، نباح الكلاب نخرَ رأسي، كل ما أفكر به، كيف سأهرب من الزنزانة هذه الليلة، وكيف سأجد خالد وأرحل به من هذه الأرض، فلم أعتد أبدا مثل هذه الأجواء، كيف لي وأنا المتعلم أُن أُرمى بهذه الطريقة في الزنزانة دون معرفة السبب، ودون معرفة هؤلاء الأشخاص الغريبين، ودون أدنى فكرة عما يحصل، نظرتُ للجهة اليُمنى لأجدَ ذلك السجين وجسده يكاد يتعفن من الجروح، وآثارُ الضرب قد ملأت جسده، كان هذا السجين متوسط القامة، مفتول العضلات، ناعم الشعر، ذو بشرة بيضاء، فقلتُ له وأنا انظرُ لجروحه:

_هل أنت على ما يُرام ؟

أجابني ساخرا:

_كما ترى، في أحسن حال.

فرددت عليه:

_أنا آسف لأني لم أستطع فعل شيء أمام الجلاد ثم توجهتُ إليه وجلستُ بجانبه لأضمد جروحه، فمزقتُ قطعةً من قميصي لأمسحها، وربطت قطعة أخرى على جرحهِ العميق، ثم قلتُ له :

_أنت غريبٌ حقا!! لمَ دماؤك سوداء؟

فصمت لهنيهة وبدت على وجهه علامات الاستغراب، ثم قال:

_هل تسخرُ مني؟

فقلتُ له بجدية:

_لا يا صديقي، اللونُ الطبيعي للدماءِ هو الأحمر فنظر لي بغرابة لبضعِ ثوانٍ ثم اِنفجر ضاحكا وقال:

_ما هذا الهراء الذي تتفوه به، لو كان دمي أحمر لعشتُ حياةً أشبهُ بالجحيم.

لم أفهم ما قصده بتلك العبارة ثم قلتُ له:

_ما اسمك؟

فأجاب:

_إلياس وأنت؟

فقلت:

_نسيم.

ثم أكملت:

_هلّا أخبرتني شيئا عن هذه الأرض فليس لديّ أدنى فكرة عن هؤلاء الناس ولمَ سجنوني، ولا أعلم مَن قيس ومَن سامو، كل ما أعلمه أنني دخلتُ تلك الغرفة اللعينة في عالمي وخرج لي ذلك المخلوق الغامض، لأجد نفسي هنا.

فقال إلياس:

_نعم، يبدو عليك أنك غريب عنا وعنهم، أنصت إليّ جيدا لأُخبرك بعض الأشياء المهمة عن هذه الأرض، لكن بشرطٍ واحدٍ فقط.

فقلتُ له بلهفة:

_ما هو ؟

فقال:

_أن تُساعدني على الهروب من السجن.

فهززتُ رأسي إيجابا وقلت:

_لك ما أردت.

فأخذ نفساً عميقاً وأسند ظهره على الجدارِ وباشر الحديث:

_هذه الأرض تُدعى تانتوك فهي أشبه بالجحيم، عاشت عليها قبل مئات السنين، حضارة تانتوك العظيمة وقد سميت هذه الأرض بتانتوك نسبة لتلك الحضارة فقد كانت قائمة على العدل، فلا ظلم ولا عبودية ولا عدوانية بين أفرادها، واستمرت هذه الحضارة إلى أن ظهر ذلك الشيطان المدعو بسامو، أكل من خيرات هذه الأرض ولكنه في النهاية نكر هذا الجميل بالتعاون مع الخونة من أفرادها، فكان متعطشا للسلطة، يريدُ أن يحكمَ بأيّ ثمن كان، حتى ولو كلفه ذلك إبادة شعبٍ بأكمله، وهو ما قام به بالفعل، فلقد دفنَ كل سكان تانتوك أحياءً باستخدام تعويذة سحرية ولم يتبقّ منهم إلا أعدادٌ قليلة هربت هنا لتقطن جبال قوباس، فتكاثروا وإزدادت أعدادهم قليلا، فهو ساحرٌ خبيث، والمميز فيه أنه يُتقنُ نوعا من السحر لم يتقنهُ أحد من قبله، فهو يستطيع تحويل أجسادِ جنوده إلى وحوشٍ ضارية في الليلة القمرية الأخيرة من كل عام عندما يكون القمرُ مكتملا فهذا اللعين عندما علم أن نهايته قد باتت قريبة أمرَ جنوده بغزو جبال قوباس كل عام في الليلة القمرية وذلك

لأن أجساد جنوده غير معتادة على غزو الجبال بأجسادٍ عادية، فحُلمهُ مازال قائماً على إيجاد تلك الفتاة ذات الدم الأحمر، التي باتت أكبر تهديدٍ لعرشه، فهناك أسطورة في تانتوك تقول أنه في جبال قوباس تولدُ فتاة تحمل الدماء الحمراء، فإن قام الملك بإعدامها شنقاً على تلك المنصة التي دفِن تحتها الحاكم الأصلي لتانتوك دون أن تنزل قطرةُ دمٍ منها، فيكون قد قضى على أسطورتهم التي باتت كابوساً مرعبا له، لأنه يوقنُ أنها ستكون سببا لنهايته بشكلٍ مُباشر، أما إن قام سكانُ قوباس بضرب الرمح الأسطوري في صدرِ تلك الفتاة على نفس المنصة، ونزلت دماؤها الحمراء لتملأ فراغات نقش الحاكم الأصلي لتانتوك الموجود على أرضيتها، فهنا تكون الكارثة، وتحل بهم (لعنة تانتوك)، حيث أن كل من دفنهم سامو بإستخدام تلك التعويذة، يعودون للحياة، لكن ليس على هيأتهم العادية، بل على هيئة وحوش ضارية لا تعرف الشفقة أو الرحمة، فتلتهمُ حاشيته وجنوده لتُردّ الأرض لأصحابها.

انتهى إلياس من حديثه وترك الأفكار تتناطح في رأسي، فلقد عرفتُ لماذا لم يُطلق سراحي الليلة، فقد دفعني الفضول إلى أن أساله سؤالا فقلت له:

_وما سبب كل هذا الحقد على الملك سامو، ألستَ فرداً من أفرادِ شعبه ؟

اِعتلت وجهه ابتسامة ساخرة وقال:

_وما فائدة اِنتمائي لملكٍ ظالم يستعبد شعبه، فهم وأبناؤهم وأموالهم مِلكٌ له، فهذه الليلة ستُغطّى سماءُ هذه الأرض بدخان أجساد أولئك الأبرياء الذين هم من شعبه فقط لتقديمهم قُربانا لشيطانه في سبيل تحويل أجساد جنوده لوحوش ضارية، فالليلة سيقوم بجمع مئةِ طفلٍ من أطفال شعبه ليحرقهم، وكل ذلك لتحقيق هدفه الخاص، أن يبقى في الحكم، وهيهات أن يعترض أحد، أو يتجرأ على عدم تسليم طفلٍ وقع عليه الاختيار ، فيتم حرقه معهم.

لقد اقشعر بدني لسماع هذا الكلام، كيف يمكن لبشرٍ أن يفعل هذا بشعبه، أي اِستبدادٍ واِستعبادٍ هذا، أيُّ نوعٍ من الحيوانات ذلك المدعو سامو؟

[سمر]

لم يَغِب عن مخيلتي ذلك الشاب الغريب، لقد دفعني الفضول لمعرفة سره، أُريد التحدث معه مهما كلفني ذلك من ثمن، يجب أن أجد طريقةً مناسبة لدخول تلك الزنزانة، نعم وجدتها،

سأدخل الزنزانة لآخذ مقاسه كي أحيك له ثيابا تُشبه ثيابنا، لكن علي إقناع الحارسين بذلك أولاً، لا مشكلة سأتدبر أَمرهم فأنا سمر.

أَخذتُ نفسا عميقا وتقدمتُ بخطواتٍ واثقة تجاه الزنزانة حتى وصلتُ إلى قضبانها لأرى السجينين نائمين، فأمرتُ الحارس أن يفتح الزنزانة لآخذ مقاس هذا الغريب، فرد عليّ:

_المعذرة سيدتي، هناك أوامر من الزعيم قيس بعدم السماح لأي شخصٍ بالدخول إليها فقلت له ببرود:

_أتعتبرني كأي شخصٍ هنا ؟

فتلعثم بكلامه وقال:

_لا لا .. بل

فأدرت ظهري مبتعدة خطوتين عنها وقاطعته وقلت:

_حسنا إذن، سأذهب للزعيم قيس وأُخبره أنك لم تنفذ أوامري، وستعرف حينها ما النتيجة فتبعني متوسلا وهو يقول:

_أرجوكِ لا تخبريه سيدتي، أعتذر، سأفتحُ الباب حالا.

فابتسمتُ وعلامات الفخر اِعتلت وجهي، وتقدمتُ نحو الزنزانة وقلت في نفسي:

_أنا سمر.

فُتح باب الزنزانة، فتقدمتُ بخطواتي الواثقة داخلها، ليستيقظ هذا الغريب من نومه ويبقى السجين الآخر غارقا به، كنتُ أُغطي وجهي بوشاحٍ أسود، لا يُظهر منه سوى عيناي، فنظر إليّ هذا الغريبُ بإستغراب دون أن ينطق، فإستأذنته ليسمح لي بالإقتراب منه لأخذ مقاسه، فأذن لي، ولما إنتهيت سألته عن اسمه فأجابني_ :نسيم.

ثم أردف قائلا:

_متى سأخرج من هذه الزنزانة ؟

فقلتُ له:

_لا أعلم، لكن على الأغلب عند بزوغ الفجر، بعد إنتهاء هذه الليلة الوحشية التي ستدق طبولها بعد ساعات، فصرخ في وجهي قائلا :

_أُريد الخروج من هنا ، سئمت الإنتظار.

فرميته بنظرةٍ غاضبة وقلتُ له:

_أيُّ أَحمقٍ أنت، كيف تجرؤ على الصراخ في وجهي، صدقني لو علم الزعيمُ قيس بهذا لأمر بقتلك على الفور، فأجابني ببرودٍ ممزوج بالسخرية :

_سئمتُ من الأقوال ، أريدُ أفعالاً.

استشاط غضبي لسماع تلك الكلمات، فلم أتمالك نفسي، فقمت بضرب صدره بكفي ودفعته على الجدار بعنفوان، وقلتُ له:
الزم حدودك وإلا ....
رد علي بنبرةٍ حادة مغلفة بالتحدي بعدَ أن أمسك بيدي وأبعدها عن صدره وهو يحدق بي، وقال:
_وإلا ماذا ؟
ظلت عينانا تثقبُ بعضها بعضاً لبضعِ ثوانٍ، وكأن نزالا يدور بينها ومن يُنزل عينه أولا هو الخاسر، فحاولت الخروج عن الموضوع وقلت له:
_ما الذي أتى بك إلى هنا.
فردّ عليّ بحدة:
_وما شأنك أنتِ
حاولتُ امتصاص غضبه قائلةً:
_علّني أُساعدك
ردّ ببرود:
_شكرا لكِ
ثم أكمل:
_أفضلُ الخروج على طريقتي، لا أحتاج مساعدةَ أحد،

فقلتُ لهُ بغضب:

_يا لك من متعجرف، تتفوه بكلامٍ أثقلُ منكَ وزناً ومصيرك معلقٌ بين أيدينا، من أنت لتتكلم معي بهذه الطريقة وأنا سمر ؟

رد عليّ ببرودٍ قاتل :

_وأنا نسيم.

كدتُ أصفعه على وجهه لولا نهوض السجين الآخر من نومه، فقلتُ له:

_سينقلونك بعد قليل لزنزانةٍ سرية، وسيكون حسابك عسيرا معي غداً.

فأجابني ساخرا:

إن حظيتِ بفرصةٍ أُخرى.

ثم توجهت إلى الباب وغادرتُ الزنزانة.

ما هذه المهزلة، كيف لشابٍ غريب أن يتكلم معي بهذه الطريقة، ما هذه الشجاعة التي يتحلى بها، لكن على أي حال سأحيكُ له ثيابا جديدة وأُلقنه درساً لن ينساه في حياته كما وعدته.

[من داخل القصر الملكي]

[زينب]

اكتمل القمر وأَصبح بدرا ينير القصر الملكي وباحاته، وتم حشد الجنود اِستعدادا لغزو قوباس بحثا عن الفتاة ذات الدم الأحمر، أنا زينب، أعمل خادمةً في هذا القصر، حسنا سأكون صريحة معك، أنا مجرد لعبة وضيعة في يد ابنته سراب، أرأيتَ أحدا يعتبرُ جمالهُ نقمة؟ أعلم أنك ستقول لا، لكني أُخبرك أن جمالي هو أكبر نقمة، هذا الجمال الذي اِنتقمت مني سراب بسببه، فتدوس على كرامتي متى تشاء، أتدري لماذا؟ فقط لأني أجمَلُ بقليل، بقليلٍ فقط، لا عليك صديقي، أعلم أني لست الأولى ولن أكون الأخيرة في مجتمع تُهتك فيه الأعراض وتُسفك فيه الدماء، ربما ستصفني بالخائنة أو المجنونة، كيف لي أن أتفوه بكلامٍ كهذا عن من أعيشُ داخل قصرهم، سأجيبُكَ بضحكةٍ ساخرة، وأقول لك أني أذوق الويل، لا لا .. بل أذوق الويلات كل لحظة مقابل أن أبقى على قيد الحياة، لا عليك، سأقصُّ عليك ما أراهُ الآن ولنكمل حديثنا لاحقا.

وقفت الجنود أمام المنصة وهي تحمل عتادها من سيوفٍ ورماح وسهام كأنها بنيانٌ مرصوص، الكل ينتظر صعود الملك سامو على المنصة، ليلقي كلمته، ويمدهم بالتعليمات اللازمة، ومقابل المنصة على الجهة اليمنى مئةُ طفل تتراوح

أَعمارهم ما بين الخامسة والعاشرة، مكبلي الأيدي والأقدام، استعدادا لحرقهم، فهُم قربانٌ لشيطانِ سامو مُقابل تحويل أجسادِ جنوده إلى وحوشٍ ضارية، كانت الجماهير من الشعب تحيط بالباحة وهم يهتفون بإِسم الملك، وبين هذا وذاك أُمهاتٌ تئن من الحرقة على أطفالهم الذين لم يبقَ سوى بضعُ دقائق على إِحتراق أجسادهم، وبعضُ الجنود يتمالكون أنفسهم خشيةَ سقوطِ دمعةٍ على إخوانهم أو أَبنائهم، لكن هيهاتَ أن يعترضَ أحد، فيكونُ مصيره الحرق.

فُتحت أبواب القصر الملكي، لتهدأ الأصوات، وتم فَرش البساط الملكي الأحمر في الممر الذي يصل من باب القصر إلى المنصة، تقدم الملك سامو بخطواته التي تهز الأرض من جبروته وطغيانه، حتى وصل المنصة، وعلى يمينه ابنه صخر وعلى يساره ابنته سراب، وكان يرتدي الوشاح الأبيض الحريري، وعلى خصره خنجره الذهبي، والتاج الذي يعتلي رأسه مرصع بالماس، كانت الجنود شامخة كالصقور، ليس إِحتراما له، بل خوفاً من بطشه، فبدأ خطابه الملكي قائلا:

يا شعبَ تانتوك العظيم، هذا اليوم المُقدس لنا، لا صوت سيعلو على أصواتنا، سنقلب جبال قوباس رأسا على عقب للقضاء

على أُسطورتهم المزعومة، سنقوم بجلب تلك الفتاة ذات الدم الاحمر ونُعدمها أَمام الملأ، لنقضِ على أحلامهم، فشعب تانتوك العظيم الذي لطالما لم يرضخ لأي عدوّ، لن يرضخَ لبعض الجرذان القاطنين جبال قوباس، فالليلة ستسفكُ دماؤهم وتُباحُ أعراضهم ويُقضَى على أُسطورتهم هنا (مشيرا إلى المنصة)، فتقدموا بكل قوةٍ وعنفوان، أذيقوهم الويلَ والويلات، لا ترحموا أحدا، واقتلوا طفلهم قبلَ شيخهم، فسيصبحُ يوما ما محاربا، لكن لا تقتلوا اِمرأة قبل أن تتأكدوا من دمائها، لأني كما وعدت، ستعدم أُسطورتهم على هذه المنصة، في الليلة القمرية.

بدأت الجماهير بالهتاف، (عاش الملك، عاش الملك) واِمتزجت هتافاتهم بصراخِ الأطفال وأنين أُمهاتهم وآبائهم، ثم أمر الملك بإِشعال النار بالأطفال وحرقهم.

هبّ الجنود بإِشعالها لكن قبل ذلك بلحظات خرجت من بين الجماهير امرأة غيرت الدموع ملامح وجهها وهي تبكي بحرقة متجهة إلى المنصة، حتى أَوقفها الحُراس، وهي تتوسل إلى الملك سامو طالبةً أن يرحم طفلها، فسمح الملك لها بالعبور، فاِرتمت على قدميه وهي تقبلهما وتتوسل إليه قائلة :

_أرجوك يا سيدي اصفح عن طفلي فلم يبلغ السادسة من عمره، أرجوك ضعني مكانه واصفح عنه، أتوسل إليك سيدي، فأمرها بالوقوفِ على قدميها، فحدق بها بغضب، ثم قام بصفعها على وجهها، فطُرحت هذه المرأةُ أرضا.

_أُاااااااامي

خرجت هذه الصرخةُ من أحد الجنود، بعدما أَمسك برمحه ، وهمّ برميه على الملك، ليسبقه رمحٌ من ابنه صخر ويخترق قلبه، ثم أمر الملك بحرق المرأة وجثة الجندي مع الأطفال.

اِرتعش كل من يقف في الباحة من هول المشهد جنودا وجماهيرا، لم أتمالك نفسي، انسكبت الدموع من مقلتاي بغزارة، أيُّ رحمةٍ هذه أن يحاول هذا الشيطان حرق الطفل أمام أُمه وأخيه، وصفع الأم أَمام ابنيها وقتل الأخ أمام أُمه وأخيه، أيُّ رحمةٍ تلك؟ أيمتلكُ قلباً أم حجرا؟ لكني أؤمن بشيء فقط، مهما علا الظلم، لابد لشمس الحق أن تحرقه.

أشعل الجنودُ النار بالأطفال وألقوا بالمرأة وجثة ابنها داخلها، وصارت ألسنةُ اللهب تلوحُ يمينا ويسارا حتى قاربت أجسادهم أن تصبح رماداً، فقام الملك بقراءةِ بعض الطلاسم لينظُر الجنود كلهم بحركةٍ منتظمة نحو القمر.

بدأت أجسادهم تتزايد في الحجم رويدا رويدا، حتى شُقت ثيابهم، وتضاعفت أحجامهم في مشهدٍ مهيب، وتشكل كل منهم على وحشٍ ضارٍ مختلف، ما بين أسودٍ ونمورٍ وضباع وغوريلات، واِختلطت أصواتُ زئيرهم الصاخبة ببعضها، فَسَرت في جسد الجماهير رعشة، فمثل هذا المشهد لا يتكرر إلا مرةً في العام، ثم أمر الملك وحوشه بالانطلاق طالباً منهم العودة بتلك الأسطورة.

[لين]

كنتُ في شرودٍ تام، كل ما أُفكر به فقط هو نسيم، متكئة على سريري كعجوزٍ خارت قواها، لا تستطيع فعل شيء فتكتفي بالدعاء

_لين، تعالِ بسرعة.

قاطع شرودي صوت دعاء، فتوجهت إلى المطبخ ملبيةً لندائها، كانت المنضدة ممتلئة بكل أصناف الطعام، جلستُ على الكرسي مقابلها وهي تنظر إليّ باستغراب حتى قالت:

_ما بكِ؟

فقلت لها:

_لا شيء.

فقالت وهي تلوك الطعام في فمها وكأنها قرأت أفكاري

_لا تقلقي، سيكون على ما يُرام، فأنا أثق به.

ثم أردفت قائلة :

_أنا أعرفه أَكثر منكِ، هو ليس بالشخص الهيّن، حتى وإن لم يستطع المجيء بخالد، فسيأتي هو لا محالة.

فقلت لها بنبرةٍ قلقة:

_وماذا إن طال غيابه.

فردت ببرود:

_عند الضرورة سأرسلُ عمار له.

فقلتُ لها بسخرية:

_وكيفَ لمهرجٍ أن يأتي بنسيم، وهو لا يستطيع تحمل مسؤولية نفسه، ناهيكِ عن جبنه وضعف شخصيته.

فقالت بعد أن أمسكت كوب الماء واِستعدت لشربه:

_لا تقلقِي عزيزتي ، سأتدبر الأمر.

قاطعنا رنين هاتفي لأَنظر إلى الشاشة، رقم دون اسم، فرددت عليه:

_مرحبا لين، أنا عمار أود الحديث معكِ بشيء هام.

فقلتُ له بغرابة:

_وكيفَ حصلت على رقم هاتفي ؟

فرد عليّ:

_من زميلتكِ في الدفعة.

ثم أكمل:

_منذ البارحة وأنا أتصل بنسيم وهاتفه مغلق، ذهبتُ إلى منزله ولم أجده، أتعلمين أين هو ؟

كنتُ أود إجابته لولا أن دعاء جذبت مني الهاتف وقالت له:

_مرحبا عمار، نحن مشغولون الآن ، سأتصل بكَ لاحقا وأغلقت الخط، ثم قالت لي:

_إياكِ وأن تخبريه بما حصلَ معه، فقط اِكتفي بالقول له، لا أعلم، ولم أتواصل معه منذ جلوسنا في المكتبة، واتركي الباقي عليّ فهو مغفل، سأتمكن من إقناعه فقلتُ لها:

_حسنا ، كما شئتِ.

[نسيم]

فُتحت الزنزانة، ليتقدم الحارسان داخلها آمرين بنهوضنا، فاِنصعنا لأمرهما أنا وإلياس اِستعدادا للمغادرة، آملين أن تنجح خطة هروبنا، نظرتُ إلى يساري لأتأكد من تلك الورقة التي وضعتها بجواري فوجدتها كما هي، قام الحارسان بتكبيل أيدينا

بالحبال، وسرنا خلفهم متتبعين لهم، لا نعلم أين ذاهبون، سوى أنهم يريدون نقلنا لزنزانة سرية، على أي حال لا يهمني إن كانوا يريدون سلامتي أم لا، ما يهمني فقط هو الهروب، فأريد معرفة أسرار هذه الأرض وإيجاد خالد في أقرب وقت والعودة لعالمي.

رماني إلياس بنظرته تلك مشيرا لي بأنه قد تخلص من قطع حباله، فأومأتُ برأسي إيجابا، وكنت مستعداً لأيّ خطرٍ مُحتمل، اِنقضَّ إلياس على الحارس الأول وعقد ذراعه على عنقه ليقوم الحارس الآخر بسحبِ سيفه من غمده، إلا أني وجهتُ له ركلةً قوية بين ساقيه لِيَخرّ على الأرض عاجزا عن الحركة، قمنا مسرعين بتكبيل أيديهم وأقدامهم واِرتداءِ ثيابهم العسكرية وأخذنا أسلحتهم، حتى لا تُثار الشبهات والشكوك حولنا داخل القصر.

قمنا بالسيرِ متجهين إلى البوابةِ لمغادرته، كانت الفوضى تعمُّ في باحاته، وينتشر رُماة السهام والرماح بكثافة على أسواره، بينما كانت المجانيق الحارقة مرصوصة بشكلٍ أُفقي في المقدمة، والجنودُ على أهبة الإِستعداد منتظرين قدوم الوحوش

إليهم ليتلقوا أمرا بالهجوم.

نظرَ لي إلياس وقال:

_الوضعُ سيء، علينا الخروج قبل أن تصل الوحوشُ وتبدأ المعركة

فرددتُ عليه:

_ماذا إن أمسكوا بنا في الطريق.

فأجابني وهو يُسرع في خطواته، متجها إلى الجواد.

_لا عليك، سأسلك طريقاً مُغايرا لطريقهم، فقد كنت جنديا لديهم سابقا ووقعت بالأسر، فأنا أعلمُ أيُّ الطُرُقِ سيسلكون ثم أكمل:

_وفي أسوء الأحوال إن أمسكوا بنا، سنُسجن للتحقيق، لكن لا تقلق سأبتكرُ حِيلا للخروج ثم أمرني بالصعودِ خلفه.

كانَ الظلامُ حالكاً يشقه نور القمر المكتمل، صوت هملجة الجواد كان مُرتفعا، وهو يدك الأرض بأقدامه ليُطرب أذني صوت أغصان الأشجار وأوراقها الجافة وهي تهشّ تحت أقدامه، كان شديد السرعة وهو ينطلق بنا متجهاً للمنطقة الملكية التي يحكمها سامو.

بدأ عقلي في الشرود وتراكمت الأفكار في رأسي.

_ماذا لو علم أحدٌ أني أحملُ دماءً حمراء.

_ماذا لو سقطت دمائي أمام الناس فجأة واكتشفوا أمري.

_ماذا لو أمسكوا بخالد واكتشفوا أمره.

أعتقد أن نهايتي باتت قريبة قال إلياس وهو يلكز الجواد برفق:

_عندما يتحول الجنود لوحوشٍ ضارية تتضاعف حاسة الشم لديهم لهذا سلكتُ طريق الغابة، على الأغلب لن يمروا منها لصعوبة عبورها بأجسادهم الضخمة وعددهم المرتفع فهززت رأسي إيجابا ثم قلتُ له:

_إلياس، هل لي بسؤالٍ لك فردّ عليّ:

_بالطبع.

فقلت:

لديّ صديق اسمه خالد، وقد سبقني إلى هذه الأرض بثلاثةِ شهور، هل تعلمُ شيئا عنه ؟

فقال إلياس:

لا أعلم شيئاً عما حصل، فقد وقعت في الأسر قبل أربعةِ أشهُر، لكن سأساعدك في البحثِ عنه عند اِنتهاء الليلة الدامية، فيجب علينا التسلل للمنطقة الملكية دون كشفنا.

انبعث فجأة ضوءٌ خافتٌ من بعيد وكأن أحدهم يشعل نيرانا، تعالت معه أصواتُ طرقٍ عنيفٍ في الأرض ممتزجة بأصوات زئير صاخبة.

_مستحيييييل.

قالها إلياس بعد أن أوقف الجواد وهو يحملقُ بذلك السربِ العظيم من الوحوشِ الضارية القادم من بعيد، فوثبَ عن الجواد مسرعا بِاتجاهِ كوخٍ صغير على الجهة اليُمنى، فركضتُ خلفه مباشرةً إلى أن وصلنا، لنجد فارساً على جوادٍ وخلفهُ قردٌ عملاق (غوريلا)، كان اللعاب ينسكبُ من فمه بغزارة وهو يطرق الأرض بقبضتيه.

ساد الصمت لوهلة في مشهدٍ مهيب، يبدو أن هذا الفارس قد أمر باقي الجنود بالتوجه مباشرةً لقوباس بِاستثناء هذا الوحش

_أهلا بعودتك إلياس.

قالها هذا الفارس بصوته الأجش وهو يثقبُ إلياس بنظراته بعد أن وَثبَ عن جواده.

فرد عليه إلياس متلعثما بعد أن حنى جذعه:

_مر ... مرحبا بك سيدي صخر.

فقال له الفارس وهو يحدق به:

_يبدو أنك تمكنت من الهروب، هل أنت متوجه للمنطقة الملكية ؟

فرد عليه إلياس:

_نعم سيدي.

فقال له بعد أن أزاحَ رأسه قليلا ليثقبني بنظراته:

_ومن بصحبتك ؟

رد عليه إلياس بتردد:

_كان سجينا في زنزانتي، وساعدني على الهروب فقال له:

_أَراكم في الزنزانةِ غدا ، لا وقتَ لدي الآن.

ثم أمر هذا الوحش بإصطحابنا معه والعودةِ بنا للمنطقة الملكية، ووضعنا في زنزانة داخل القصر الملكي، واستأنف هذا الفارس طريقه نحو الشمال.

[سمر]

اِنتهيتُ من حياكة ثيابٍ لذلك الغريب، ومن ثم توجهت مُسرعةً إلى الزنزانة التي يقطنها، فعليّ أن أُلقنه درسا قبل أن تشتعل الحرب، لأختبئ في المكان السري، وصلت لقضبانِ الزنزانة، لكن الغريب في الأمر أنه لا وجود للحارسين على أبوابها، فدخلتها لأتفحصها، لا وجود للسجينين، اِعتقدتُ أنه تم نقلهم

إلى الزنزانة السرية لولا أن وقعت عيني على تلك الورقة التي كانت بجوارِ فراش ذلك المدعو نسيم، اِلتقطت الورقة وقمتُ بفتحها لأرى فحواها، فقد كان مكتوبا فيها:

_(مرحبا سمر ألم أخبركِ سابقا أنكم أفعالٌ دونَ أقوال ؟

ألم تقولي لي سابقا أنكِ ستلقنينني درسا وأخبرتكِ، إن حظيتِ بفرصةٍ أخرى؟ لقد أخبرتك أني أُدعى نسيم. لا عليكِ لن تحظَيْ بفرصةٍ أُخرى لمقابلتي، سأبحثُ في الصباح عن صديقي لأُغادر معه هذه البلاد الملعونة، اختبئي جيدا من الوحوش، فأنتِ سمر) اِستشاط غضبي واِشتعل غيظي لقراءة تلك الرسالة، أيُّ نوعٍ من الاِستفزازِ والتحدي هذا، لا أعلم إن كان آخر سطرٍ منها سخريةً مني أم خوفاً عليّ، لحظة !! لقد قال أنه يبحثُ عن صديقٍ ليغادر معه إلى عالمه؟ أكاد أنفجر من الدهشة، أَيُعقل أن خالد صديقه؟ فهو غريبٌ أيضا، حسنا حسنا، لقد وضعتُ قبضتِي عليك بإحكام، ولن تنجُوَ مني هذه المرة، فلِتستعد للجولةِ القادمة، وسأريكَ كيف ستقودكَ أقدامك إلى هنا بإرادتك.

لم يتبقَّ وقتٌ كافٍ، عليّ الصعودُ إلى القُبةِ التي تعلو هذا القصر لأشاهد هذه الحرب الدامية، فالمكانُ في الأعلى يستحيل أن يكشفهُ أحد، حتى جنودنا أنفسهم لا يعلمونَ به.

دقّت طبولُ الحرب، أصواتُ الزئير المرعبة والصاخبة ترتفع، وطرقاتُ أقدامهم تدكُّ الأرض دكا، ها هم يقتربون واللعاب ينهمرُ من أفواههم، أُولئك الحمقى المتعطشين للدماء، وقف جنودُنا وقفةَ اِستعداد موجهين رماحهم وسهامهم ومجانيقهم تجاه الوحوش، ولازالوا ينتظرون صوت جلجلة البوق ليباشروا بالإطلاق، لكن لسوء حظ تلك الوحوش، أننا قمنا بإعداد مفاجأة لم تكُن بحسبانهم.

اِقتربت الوحوش على بعد مئة مترٍ من أسوارِ القصر، ليعلو صوت جلجلة البوق في إشارة للبدء بإطلاق السهام والرماح والمجانيق تجاههُم.

يا لهذه البداية الموفقة، سقطت الصفوف الأُولى من الوحوش داخل الخندق المُعدّ لهم مُسبقاً، فتخبطت ببعضها، ليباشر جنودنا بالرمي عليهم بمُختلف الأسلحة داخل الخندق للقضاء عليهم نهائيا، كان ذلك الوغدُ صخر ممتطيا جواده وهو يراقب، الغلبةُ أصبحت لنا، فقد تم القضاءُ على عدد كبيرٍ من الوحوش

داخل هذا الخندق.

يا إلهي، أصواتُ زئيرٍ داخل القصر، لقد أدركتُ أن ذلك اللعين صخر قد أمر ما تبقى من وحوشه بإقتحام البوابة الخلفية من القصر، تعالت أصواتُ صراخ الجنود وامتزجت بأصوات نهشِ عظامهم، لكن عددنا أكثر منهم بكثير الآن، وجنودنا بواسل فلديهم ما يدافعونَ عنه، لديهم حقٌّ منهوب وأرضٌ مغتصبة، فسيدافعون عنها ولو كلفهم ذلك حياتهم.

استمر القتال قُرابةَ الساعة، رغمَ شراسةِ العدو، إلا أن كثرتنا قد قضت على ما تبقى منهم، فجنود المنطقة الملكية مِلكٌ لسامو، الذي لا يهمه إن عادوا أم لا، فهو يريدُ تلك الفتاة بأي ثمن .أخيرا وضعت الحربُ أوزارها، وأشلاءُ جنودنا ودماؤهم السوداء قد غمرت القصر وباحاته، وجثث تلك الوحوش اِفترشت القصر وباحاته، أولئك الحمقى لا يميزون بين أحد، فيقتلون من هبّ ودبْ، أما النساء فيقومون بضربهم بمخالبهم ليرَوْا دماءهم ، فإن كانت سوداء قُضيَ عليهم.

اِنجلى الليل، واِنقضت تلك الليلة الوحشية، وقام مَن تبقى من الجنود بتطهيرِ باحة القصرِ من الجثث والدماء وترميم أسواره، وانتهيتُ من كتابة الرسالة لأستدعيَ حارسي الشخصيِ، فقد

أعددتُ له ثياباً خاصة كثيابِ شعبِ تانتوك تماما، وطلبتُ أن يذهب بالرسالة إلى المنطقة الملكية ويضعها أسفل الشجرةِ الضخمة الموجودة على يمين أسوارِ القصر من الخارج، وأمرته بالمكوث هناك حتى يتأكد من أن زينب قد أخذتها، فاليوم سأرسلُ لها إشارةً في منامها لتستلم تلك الرسالةِ التي كتبتُ في غلافها، (عليكِ البحثُ عن شخصٍ يُدعى نسيم، وأعطهِ هذه الرسالة، فأنا متأكدة من أنه تم القبض عليه).

وأمرت الحارس بالإنطلاق والعودة قبل غروب الشمس، وأن يتوخَّ الحذر في طريقه.

[نسيم]

من زنزانة قوباس إلى زنزانة سامو، الأمر مضحكٌ حقاً، أشعرُ وكأنني أصبحتُ أُرجوحةً بين الزنازين، كان إلياس على يميني في شرودٍ تام، يبدو وكأنه يفكرُ بحيلةٍ لإقناع صخر بأن يُخرجه من الزنزانة، فأردتُ أن أُشاركه أفكاره، فقلتُ له:

_ما العملُ إلياس؟

فردّ علي وهو ينظر لقضبان الزنزانة:

_لا أعلم، لكن سيأتي صخر لإستجوابنا.

فقلت له:

_وماذا سأُخبره إن سألني ؟

رد عليّ:

_فقط اِلتزم الصمتْ ، سأجيبُه عنك.

قاطعنا صوتُ فتح باب الزنزانة، فإعتدل إلياس في جلسته مُعتقدا أن الذي جاء هو صخر، لكن تقدمت للزنزانة فتاة تحملُ الطعام، يغطي وجهها وشاحٌ صغير ذو لونٍ أسود، وترتدي ثيابا فضفاضة، فتوجهَت إلى إلياس ووضعت طعامه أمامه ثم أتت إليَّ ووضعت طعامي أمامي ومن ثم همّت بالمغادرة، لكن قبل أن تصل إلى باب الزنزانة، سقطت من جيبها ورقة، ثم خرجت وأُغلقَ الحارسُ باب الزنزانة خلفها.

ذهبت لألتقط تلك الورقة دون أن يشعر إلياس، فهو يأكلُ طعامه بشراهة، ونجحتُ بإلتقاطها وإخفائها عنه، ثم قمتُ بفتحتها بعد وقتٍ وجيز لأقرأ فحواها الذي كان مكتوبا فيها

_(مرحبا نسيم ألَم أُخبرك سابقا أني أفعالٌ دون أقوال ؟ ألَم أُخبرك سابقا أني سأُلقنك درسا قاسيا ؟ لقد أخبرتك أني أُدعى سمر

سأُريك كيف ستأتي بك أقدامك إلى قوباس كما ذَهبتْ بك إلى

المنطقة الملكية أعتقد أنك لا تنوي مغادرة هذه البلاد دون صديقك خالد أراكَ لاحقا).

كدتُ أن أُصعقَ من الدهشة، كيفَ عَلِمت باسم صديقي؟ لا بد وأنها تعرف مكانه، يجب أن أعود لقوباس في أسرع وقتٍ ممكن .صدر صوتُ صرير مزعج، فأدركتُ أن أحدهم يريد الدخول إلى الزنزانة، فدسستُ الورقةَ في جيبي مباشرة، ليتقدم ذلك الفارس الذي أمسكَ بنا البارحة أمام الكوخ، نعم إنه صخر الذي كاد أن يلتهمنا وحشه.

_لقد طال غيابك إلياس، ألَم تستطع الهرب منذُ ذلك الحين، أم أنك جبان ؟

قالها صخر بعد أن اِعتلت وجهه ابتسامة ساخرة، فرد عليه إلياس بنبرةٍ يتخللها الخوفِ:

_لا يا سيدي، فقد وضعوني في زنزانةٍ سرية وشددوا عليّ الحراسة

فقال له صخر بجدية:

_وهل أتيتَ لنا بأسرارٍ عنهم ؟

ردّ عليه إلياس بثقة:

_بالطبعِ سيدي.

ثم أردفَ قائلا:

_دولة كيتان الواقعة شمالهم، تمدهم بمعداتٍ وأسلحة، وتُعلمُهم صناعة المجانيق الحارقة وحَفرِ الخنادق ذاتيا فضرب بقوةٍ على باب الزنزانةِ بقبضته وقال:

_أولئك الحمقى، يجبُ أن أضع حدا لهم ثم نظر إليّ وأكمل:

_لمْ تخبرني عن الشخص الذي بصحبتك فرد عليه إلياس:

_هو سجينٌ من دولةِ إكواند، كان يمكث في زنزانتي، وقد ساعدني على الهروب، ولم يستطع الهرب إلى بلاده لبُعدها قليلا ولظروف الليلةِ القمرية ، فاِصطحبته معي، فقال الفارسُ صخر مُخاطبا إلياس بعدَ أن أدار ظهره مُستعدا للمغادرة:

_سأَمنحك عطلة لمدة شهرٍ فقط تستريح فيها بمنزلك ومن ثم تستأنف عملك كجنديّ في المملكة وأما عن الشاب الإكواندي فقد صَفحتُ عنه لأنه ساعدك في الهروب، فاِستضِفهُ في منزلك حتى عودته لبلاده، وإياك أن يتسبب في متاعب للمملكة، فسيكون حسابكم عسيرا.

هممنا بالمغادرة، ودعاني إلياس إلى منزله فقال أنه لا يوجد سواهُ وأُمه وأخيه الأصغر فقبلتُ دعوته واِتجهنا سويا لمنزله.

ها قد أتت لحظةُ الحرية منذ دخول هذه البلاد الملعونة، الآن أستطيعُ الذهاب لجبالِ قوباس للعثور على خالد والعثور على طريق العودةِ إلى عالمي.

أصابتني الدهشة وأنا في الطريقِ إلى منزل إلياس، نفسُ القصرِ الذي شاهدته في غلاف الكتاب حين دخلت غرفة المكتبة، نفس السورِ الشاهق الذي كُنت أعتقد أنه مطليٌّ باللون الأسود لكني أدركتُ الآن أنه مطلي بالدماء السوداء، نفسُ القصر الذي تتوسطه جمجمةٌ ضخمة ملطخة بالدماء السوداء، نعم صحيح لقد كان اسم الكتاب (تانتوك) نسبةً لهذا الشعب، بدأت الحقيقة تتضح أمامي قليلاً لكن أيّا كان، عليّ الذهاب إلى قوباس هذه الليلة.

وصلنا المنزل ووقفنا على أعتابه، ليقوم إلياس بطرق الباب ولم يستجِب أحد، قام بالطرق مرةً أخرى لكن دون فائدة، فابتعدَ بخطوتين إلى الخلف وقام بتوجيه ركلةٍ قوية له بقدمه حتى تحطم، ليدفعه بعد ذلك بيده ويدخله، ليجد أُمه تجهش بُكاءً وهي عاقدةٌ ذراعيها حول ركبتيها، فركضَ نحوها ليقبل يديها وقدميها وهو يقول:

_ما بكِ يا أمي، هل أصابكِ مكروه ؟

فردت عليه، والدموع تغطي وجنتيها:

_أنا بخيرٍ يا بني.

فقال لها :

_أين أخي معاذ ؟

فَنَظرتْ إلى عينيه مواصلةً البكاءَ وهي تقول:

_لقد تم حرقه البارحة.

لقد بقيتُ صامتا مُندهشا وأنا أُحاولُ اِستيعاب ما قالته قبل لحظات وأنا أُحدق بإلياس الذي تصلّب جسده وجثا على ركبتيه وهو يضربُ الأرض بقبضتيه كالمجنون، ومن ثمّ صرخَ صرخةً مدوية

_ساااااااامو، سأنتقم يا ابن العاهرة، ونهض من مكانه ليتجه إلى الجدار وسحب السيف المُعلقَ عليه، وهمّ بالخروج من المنزل لولا أن قامت أُمه بجذبه من ذراعه وهي تقولُ متوسلة :

_أرجوكَ يا بني لا تذهب، أرجوك.

_إن كنت تريد أن أبقَى على قيد الحياة فقط ابق بجانبي، قد اِمتصت كلماتُ أُمه جزءً كبيرا من غضبه، فجلستُ بجواره لأُواسيه، فربتتُ على كتفه، وقلتُ له:

_لن يدوم الظلم يا إلياس، فنهاية هذا الظالم سامو باتت مسألةَ وقتٍ لا غير، ستحصل على اِنتقامك منه، وسأساعدك أيضا، لكن إياكَ والتهور، فلا تُظهر أي ردةَ فعلٍ سلبية، لأنهم وببساطةٍ سيتخلصون منك.

ثم طلبتُ منهُ أن أستعير جواده، وأخبرته أني أُريدُ الذهاب لقوباس هذه الليلة، فهناك أمرٌ طارئ، كان يريدُ أن يأتي معي لكن رفضتُ طلبه، وقلتُ له بأن يبقَى بجوارِ أمه حتى تأنسَ به، فلازالت تحتاجُ للعناية، ومن ثم امتطيتُ جواده وانطلقتُ مُتجها لقوباس.

[سمر]

ها قد حلّ الظلام وأنا أَقفُ على الشرفةِ التي تُطلُّ على بوابةِ القصر منتظرةً إشارة الحارس بقدومِ نسيم، لقد طال الاِنتظار، بدأت الأفكار تغزو رأسي، أيُعقلُ أن زينب لم تعثر عليه؟ أو أمسك به الجنود وأمرَ الملكُ بقتله؟ لا أعلم، فقط علي أن أستسلم للوقت كي أعرف مصيره.

سمعتُ صوت طرقاتٍ على الباب، توجهتُ نحوه مُسرعةً وقمتُ بفتحه، ليقولَ لي الحارس:

_لقد أتى سيدتي، وقمتُ بوضعه في الزنزانةِ كما أمرتِني فشكرته على عمله الجيد ومن ثم استأذن بالخروج وغادر. توجهتُ بسرعةٍ للزنزانة، وتقدمتُ داخلها لأجده يقفُ مستديرا دون حركة، وهو يعقد ذراعيه خلف ظهره، فقلت له:

_أهلا بعودتك نسيم.

ثم أكلمت:

_لقد فوجِئت بعودتك مرةً أُخرى، فلقد أخبرتني أني لن أحظَى بفرصةٍ أُخرى لمقابلتك.

فأدار جسده تجاهي وهو ينظر بغضب واكتفى بالقول:

_أين خالد ؟

فرددتُ عليه ببرودٍ ساخر:

_ابحث عنه.

فما كان منه إلا أن اِنقضّ عليّ ودفعني على الحائط وهو واضِعٌ كفهُ الأيسر على كتفي الأيمن، ويُشيرُ بسبابته نحو وجهي ويقول ببطء:

إياكِ والعبثُ معي.

كانت المسافةُ بين وجهينا قريبة جدا، بقينا على هذا الحالِ لبضعِ ثوانٍ محدقين ببعضنا، فكنتُ أشعرُ بدفءِ أنفاسه وهي تتخلل من مساماتِ الوشاح الذي يُغطي وجهي، اِختلطت مشاعري ببعضها وأنا أتأملُ عينيه البُنيتين عن قرب لأولِ مرة فقاطعَ شرودي بعينيه، عندما قال ببطء:

_هلّا أخبرتني أين خالد يا سمر.

لقد خرج اسمي من بين شفتيه ببراعة، وكأني أَسمعهُ لأول مرةٍ بهذه الطريقة، فاِحمرّ وجهي خجلا منه، فقمتُ بنزعِ الوشاحِ عن وجهي، فلا داعٍ لإخفائه عنه بعد الآن، فقلتُ له:

_بالطبع يا نسيم.

ثم أكملت:

_سأذهبُ معكَ إلى المنطقة الملكية لآداءِ المهام التي كلفني بها الزعيم قيس، وسوف أُساعدك في البحثِ عنه.

فقال بنبرةٍ جدية:

_أتعرفين مكانه ؟

فقلتُ له:

_لا، لكني أعرفُ ساحرةً هُناك تُدعى بلقيس، فمن الممكن أن تعرف مكانه عن طريق السحر مقابل بعض النقود.

فقال وعلامات القلق ظهرت على وجهه:

_لكن إن أمسكوا بكِ هُناك ستقعين في ورطة، لا تنسَيْ أنكِ من قوباس فقلتُ له:

_لا تقلق نسيم، فلديّ نفوذٌ هناك، فصديقتي زينب تعملُ خادمةً في قصرِ سامو.

اِتسعت حدقتا عينه وقال:

_لا تخبريني أنها تلك الفتاة التي سقطت منها رِسالتك عندما وضَعَت ليَ الطعام في الزنزانة.

فقلتُ له باسمة:

_نعم هي.

فقام بضربِ كتفي بلطفٍ وقال مازحا:

_يا لكِ من داهية

فرميتُ ابتسامةً عريضةً وغمزةً في وجهه وقلتُ مداعبةً له:

_فأنا سمر.

فطلب مني أن آتي بسيفين وثيابٍ مشابهة لثيابِ سكان تانتوك ففعلتُ ذلك، ثم رفعَ قدمه مُستعدا لِامتطاءِ الجواد وقال:

_هذا الأمرُ ليس بالحُسبان.

فقلت له مستفسرة:

_ما هو ؟

فقال:

_أين ستمكثين في تانتوك

فقلت له:

_لا أعلم، لكن سأحاول أن أستأجر منزلا هناك فقد أحضرتُ معي قدرا وفيرا من النقود.

فقال:

_ما رأيُكِ أن تمكثي في منزل صديقي إلياس، ذلك السجين الذي هربتُ معه من قوباس.

فقلتُ له باستنكار:

_لكنه جنديٌّ من جنود سامو، فلو علم أني من قوباس بالتأكيد سيشي بي.

فقال بثقة:

_لا تقلقي، فقد أحرقوا أخاه ليلةَ اِكتمال القمر، وهو الآن يخطط للانتقام بأي ثمن، ويَكتِمُ حقدا على الملك سامو، وأنا أثقُ به كثيرا.

اِطمأنّ قلبي لكلامه، فأومأتُ برأسي إيجابا، ثم اِمتطى الجواد ومدّ إليَّ يده ليُعينني على الصعودِ خلفه.

ظلامٌ حالك، وضوءُ القمرِ يشق الطريق ليُنيرَ دربنا، أعلمُ أنها مُجازفةٌ كبيرة، لكني تمكنتُ من إقناع الزعيم قيس بأن يُرسلني إلى المنطقة الملكية، لكنه لا يعلم أني سأذهبُ برفقةِ الشاب الغريب، فهذه مهمة سرية للغاية.

واصلَ الجواد ركضهُ بسرعةٍ كبيرة، إلا أنه على غير العادة بدأ بالصهيل ومن ثم أبطأ من سرعته إلى أن توقف، لنرى فارساً ممتطيا جواده أمامنا وينتظرُنا.

نزلَ نسيم عن الجواد وتبعته أنا، ثم سحبَ سيفه من غمده فقال له هذا الفارس:

_لمَ كُلُّ هذه العجلة، ستموت في نهايةِ المطاف لا محالة.

فرد عليه نسيم بغضب:

_ماذا تُريد ؟

فنزل الفارس عن جواده وسحب سيفه وقال:

_أريدُ أرواحكم.

قال له نسيم بتحدٍ:

_إن اِستطعت.

كاد نسيم أن يُهاجمه لولا أني اِستأذنتُ منه بمُبارزته، وأخبرته بألا يقلق، فأنا من أقوى محاربي قوباس، فأذن لي والقلق يبدو

عليه بوضوح، ثم تقدمتُ بخطواتي الواثقة تجاهه وقلت له:

_أنا خصمُك.

فركضَ مسرعا تجاهي ليوجه لي ضربةً عمودية، فتصديتُ لها بسهولةٍ كبيرة بسيفي وأنا أنظر له بسخرية قائلة :

_عليكَ ألا تُهمل دفاعك.

وقمتُ بركله بقوةٍ بين ساقيه ليصرخ من شدة الألم وهو ينحني، ليسقط سيفه من قبضته فوضعتُ سبابتي أسفلَ ذقنه لأرفع رأسه كي أنظُرَ لعينيه، فقلتُ له:

_أخبرني بآخرِ أمنيةٍ لكَ أيها الشجاع ؟

فما كان منه إلا أن أخرجَ خنجرا من على خصره بخفةٍ دونَ أن أَلحظه، ووجه لي ضربةً جانبية ليُصيبَ ذراعي.

تمنيتُ هذه اللحظة لو أن الأرض شُقّت واِبتلعتني، لقد كُشفَ أمري، لقد كُشف السر الذي لا يعلمُ به سوايَ والزعيمُ قيس وزينب، سقطَ خنجر ذلك الفارس من يده التي كانت ترتعش وقال متلعثما:

_أ.. أ.. أنتِ ذات الدمِ الأحم....لأخبره قبل أن يُكمِلَ جملته تلك :

_نعم أنا هي.

ووجهتُ له ضربةً بسيفي، ليُفصَل رأسه عن جسده، ركضَ نسيم مُسرِعا تجاهي وهو يقول:

_سمر سمر، هل أنتِ بخير؟

استدرت له، فغرّ فاه في دهشة وقال:

_مسسسستحيييل

[لين]

_ يبدو أن عمار قد وصل.

قالتها دعاء بعد أن سَمِعت صوت طرقاتٍ على الباب وهي تُطالع كتابا فأغلقته، وأمرتني بإدخاله للصالة.

قمتُ بفتح الباب وأَذنتُ له بالدخول فتبعني إلى أن وصل للصالة، فألقى التحية وجلس، كان يرتدي لباساً رسميا، كأنه لو جاء لزيارةِ مخطوبته، فلا تليقُ به مثل هذه الثياب حقاً.

_أخبريني يا دعاء ، ماذا هُناك؟

قالها بعد أن أسندَ ظهره على الكرسي، لترد عليه دعاء:

_اِستدعيتُك بشأن نسيم.

اِعتدل في جلسته، وطلبت منه دعاء الإصغاء جيدا فأومأ براسه إيجاباً، لتُباشِر بالحديث، فسردت عليه ما حدث منذُ دخولِ خالد إلى غرفة المكتبة وبعدها نسيم، فغرّ فاه في دهشة وقال:

_هل تعني أنه لن يعودَ أبدا؟

كان عليّ التدخل للرد عليه فقلتُ له مُنفعلةً:

_ليس أحمقاً مثلك، فأنا أعرفه جيدا وكذلك أعرفك.

ثم رميته بِابتسامةٍ ساخرة ليستشيط غضبا، فحاول استفزازي قائلاً:

_لم أعلم أنكِ تحبينه لهذه الدرجة.

فاِحمرّ وجهي خجلا، فقلتُ له:

_وما شأنك أنت ؟

_أعتقدُ أنه ليس وقتاً للمُشاجرة قالتها دعاء وهي توزع نظراتها بيني وبينه ثم أكملت:

_علينا أن نجد حلا.

حكّ رأسه بسبابته وهو يُفكر فقالت له دعاء بجدية بعد أن أطالت النظر إليه:

_تستطيعُ أن تدخل غرفة المكتبة.

بدت عليه علامات الخوف، فقال متلعثما:

_لمَ أنا ؟

أثار غضبي بعبارته تلك فقلتُ له:

_أعتقدُ أنك رَجُل.

بدا عليه أن تلك الكلمات قد أثرت فيه قليلاً، فقال:

_حسنا ، سأفعل.

توجهنا إلى سطحِ المنزل حتى وصلنا إلى باب غرفةِ المكتبة، ليقفَ عمار أمام الباب وهو يتأمل به، وأنا ودعاء واقفتين خلفه ننتظرُ دُخوله كي نهبط للأسفل، فقالت له دعاء:

_عمار، عليكَ أن تأتي بنسيم وخالد، حتى وإن لم تجدهم، عليك بالعودة وحدك، فأنت الأملُ الوحيدُ لمعرفة أسرار هذه الغرفة

شردتُ في مُخيلتي فأبحرتُ بعيدا لذكرياتِ ذلك اليوم عندما كان نسيم واقفا مكانَ عمار يتأمل بابَ الغرفة، وعندما ذرفت دموعي خوفا، ولا تزال آخر كلمةٍ قالها تنخَرُ في رأسي (ليييييين)، قاطعَ شرودي صوتُ صرير الباب وهو يُفتح ليستعدّ عمار بالدخول، فأشارت إليّ دُعاء بأن أتبعها للهبوط إلى الأسفل لكن قبل أن نهبط حلّت الكارثة، يدٌ زرقاء ضخمة

تخرج من باب الغرفة لتصدم عمّار صدمةً قوية بكفها في صدره، ليُطرح أرضا بجانب سُورِ السطح، ويُغلق الباب فوراً.

_عماااااااااار

قالتها دُعاء وهي تركض تجاهه، بينما كنتُ أقفُ وقفةَ ميّتْ، لقد جفّ الدم في عروقي، وشعرتُ ببرودٍ في أطرافي، اِكتفيتُ بالمراقبة فقط.

كان عمار فاقدا لوعيه لتقوم دعاء بالطبطبةِ على وجهه، وطلبتْ مني إحضارَ الماء، فذهبتُ بسرعة وأحضرته، قامت بِبَلّ كفّها بالماء لتمسحَ بها وجهه، فأفاق وكأن نوبةً من الصرع أصابته ليركض مُترنحا ومن ثم يسقطُ أرضا مرةً أخرى.

[نسيم]

ليلةٌ ظلماء، لا يسمع فيها سوى صفير الرياح التي تتلاعبُ بالأغصان وتلوحُ بها يمينا ويسارا، ويتردد صدى آخر كلمة خرجت من شفتاي، وأنا أُحدق في ذراعها بدهشة، وهي تنظُرُ إليّ بخوفٍ واِنكسار، ذراعها تسقِي الأرض دماً أحمرا وهي تضع كفها على جرحها وتجزُ على أسنانها لإخفاء ضعفها، فقلتُ لها وأنا أُحدق في ذراعها:

_إذن أنتِ أُسطورةُ تانتوك.

لم تُجبني وبقيت ثابتة في مكانها فكررتُ سؤالي مرة أُخرى فقالت:

_كما رأيت.

اِتجهتُ لها لأُضمد جرحها، فمزقتُ قِطعةً من قميصي وبللتُها بالماء لأمسح الدماءَ، ثم طلبتُ منها أن تجلس أرضاً ففعلتْ ذلك، ومزقتُ قطعةً أكبر من سابقتها لأعقدها على جرحها العميق، فقلتُ لها بنبرةٍ ممزوجةٍ بالعتاب وأنا أتأملُ جمالَ عينيها:

_لِمَ أخفيتِ عليّ هذا يا سمر.

فقالت بحزنٍ شديد:

_لو أخبرتك بالحقيقة، لرفضتَ أن تصطحبني معك، كانت محقةً تماما فيمَا قالته ، ثم صَمتَتْ لهنيهة وأكملت:

_لا بأسَ بالكتمان، إن كانت الحقيقة سبباً للحرمان، لقد كانت كلماتها تشي بالكثير ، فنهضتُ مُتجها نحو الجواد لكن قبل أن أمتطيه قلتُ لها :

_عليكِ العودة لقوباس، فوجودك بالمنطقة الملكية سيكون خطراً كبيرا على حياتك وحياة شعبك، وإن تم كشفُ أمرِك

فسيعدمونكِ

فقالت بصوتٍ متحشرج وعيناها تفيضُ دمعاً:

_لا يهم، لم يعد لحياتي معنى، فالملك سامو يريد إعدامي شنقاً والزعيم قيس يَنتظر اغتنام الفرصة ليرسل المحارب ليرمي السهم الأسطوري في صدري، أكلُّ هذا بسبب اِمتلاكي للدمِ الأحمر اللعين، أيُّ ظُلمٍ هذا أن أكون ضحية صراعِ طرفين وفي نهاية المطاف سأموت لا محالة، أخبرني لمَ عليّ أن أتحمّل وازرة شعبٍ بأكمله، أليس من حقي أن أعيش كباقي فتياتِ البلاد؟ أليس من حقي أن أُحبّ ؟

لم أكن أعلم أتلك كلماتٌ أم رماحٌ تغرسها في قلبي مباشرة، وآخرُ كلمةٍ خرجت من شفتيها كانت بمثابةِ قُنبلة، لم أحتمل رؤيتها بهذا الضعف فأَشفقتُ عليها فواصلت البكاء، وأكملت:

_آن الأوان، أستطيع التخفي داخل المنطقة الملكية، علي الذهاب.

يبدو أني سأفعلها، لا داعٍ لإخفاءِ سرٍ كهذا عنها بعد الآن، يجبُ أن أتشاركه معها كي لا تشعر بالوحدة.

تقدمتُ نحو جثة ذلك الفارس لألتقط الخنجر وأتجه به نحوها، لأقول:

_أتعلمين أنكِ تشبهيني كثيرا يا سمر.

ردت عليّ بإستغراب:

_وكيف ؟

فقلتُ لها:

_سأريكِ.

فضربتُ ذراعي بالخنجر في نفس المكانْ الذي ضُرِبت به من الفارس لتسيلَ دمائي الحمراء أمامَ عينيها، فغرّت فاها وهي تحملق بدمائي مندهشةً، فقمتُ بمدّ يدي لها لأُعينها على النهوض، وقلت:

_أرأيتِ ؟

خيّم الصمت، وأنا أنظر لعينيها الخضراوين وهي شاخصةٌ نظرها بجرحي، بقينا على هذا الحال إلا أني قررتُ كسرَ حاجز الصمت، فقلت:

_أعتذر لأني أخبرتك الآن، لكني لم أحظَ بثقتك داخل قوباس لم تُجبنِي، لكنها التقطت قميصي الممزق لتضمد جرحي كما فعلتُ معها سابقا وهي تنظرُ لعيناي وتقول:

_نعم أنا أُشبِهُكَ كثيرا.

تمنيتُ لو طالت هذه اللحظة لأشعُرَ بدفءِ أناملها مجدداً، فسألتُها إن كانت تملكُ قميصا آخر، فأومأت برأسها إيجابا، ثم قالت:

_لكن لمَ أنتَ تملكُ دماءً حمراء، يُفترضُ أن أمتلكها وحدي.

فقلتُ لها:

في عالمي، لا جود لدماءٍ سوداء فكُلنا نمتلكُ دماءً حمراء فقالت :

_عليكَ الحذرُ هناك، فلو كُشف سِرُك ستُقتل

فقلتُ لها:

_لا عليكِ، سأُخفي هذا السر إلى حين خروجي من هذه الأرض

ثم اِتجهتُ نحو الجواد لتوقفني عبارتها:

_نسيم ، أنا خائفة.

لقد اخترقت تلك الكلمات الرقيقة شغاف قلبي، فتأملتُها لوهلة، عيونها الخضراء ازدادت بريقاً لما اِختلطت بدموعها، شعرها الذهبي الذي ينسدل على ظهرها بنعومة، لا أجمل ولا ألذّ من أن تُصغي لكلمات قلبٍ أَحْبَبْت وهو يستنجد بك.

فتوجهتُ نحوها مباشرةً لأمسحَ دموعها وأحملُ رأسها بين كفاي وأهمسُ في أذنها قائلاً:

_سأفديكِ بروحي يا سمر.

وذهبنا سويا لنمتطيَ الجواد ونستأنف طريقنا نحو المنطقة الملكية.

[زينب]

اِنتهى ذلك اليوم الشاق ليعيد نفس الروتين اليومي المُعتاد، ها هي الشيطانة سراب تستدعيني لأغسل قدميها.

_أيتها الخادمة.

كانت هذه كلماتُها المُوجّهة إليّ، مما ينبغي عليّ أن أكونَ داخل غُرفتِها خلال بضعِ ثوانٍ وإلا ستصبُّ غضبها عليّ، فرددت عليها قائلةً:

_سآتي حالاً سيدتي.

فذهبتُ مُسرعةً لأُحضِرَ الماء الدافئ وأسكبه داخل الدلو وأتوجه إليها، لتقولَ لي:

_لقد تأخرتِ.

فنَهَضتْ من سريرها لتَصفعني على وجهي وتُكمل:

_في المرةِ القادمة سأكسِرُ ساقكِ.

فإسترخت فوضَعتُ قدميها داخل الدلو وباشرت ببقركهم بتدليكهم وسَكبِ الماءِ عليهم، حاولتُ أن أتماسك لكن دمعتي خانتني لتسقُط داخل الدلو.

أَطلقت سراب قهقهةً مُرتفعة لتقوم بعد ذلك بجذب شعري بقبضتها وهي تقول:

_لا داعٍ للبكاء أيتها العاهرة.

كان السببُ الوحيد لكل هذا البُغض، هو فقط أنني أجملُ منها بقليل فقط، فهي جميلةٌ جدا، ومهووسةٌ بالإهتمام في جمالها، فتقضي أغلبَ أوقاتها وهي على المرآةِ توبّخُ نفسها، رغم إمتلاكها عينينِ زرقاوين وشعرٍ مُسترسل، إلا أنها غير راضيةٍ عن جمالها، قاطعت شرودي وهي لا تزال تُحكم قبضتها على شعري لما قالت:

_أتعتقدينَ أنكِ جميلة أيتها الشمطاء ؟

لم أتجرأ على النُطقِ كعادتي، وإلا سيُصبُّ غضبُها علي، إنتهيتُ من غسلِ أقدامها لتقوم بإخراجها من الدلو ثم تقولُ بنبرة آمرة:

_ضعِي وجهكِ داخله.

لن أُخفِي عنك صديقي، هذه ليست المرةَ الأولى ولن تكونَ الأخيرة فقد اِعتدتُ كلَّ يومٍ صباحا على مثلِ هذه المذلة وضعتُ وجهي داخل الدلو فاِقشعرَّ بدني لتضعَ باطن قدمها على رأسي، أعلمُ أنها لن تُميتني، بل ستُميتُني وأنا على قيدِ الحياة أنقذني صوتُ طرقاتِ الباب لتُزيلَ قدمها عن رأسي وتأمُرني بفتحه، فالتقطتُ أنفاسي وتوجهتُ لفتحه، فكانت خادمةُ الملك سامو، التي قالت لسراب:

_سيدتي، أرسلني صخر لِاستدعاء زينب.

فقالت لي سراب:

_أُغربي عن وجهي، لكن إياكِ والتأخّرُ عن ندائي المرة القادمة

خرجتُ من عند الشيطانة متجهةً إلى صخر، لأستفسر عما يُريده، فنزلتُ درجات السلم بسرعة، لأقفَ أمامه وأقول:

_نعم سيدي.

كانت الشرارةُ تلتهبُ في عينيه، فأشارَ إلى الكأس المتحطّم على الأرض وقال:

_ما هذا؟

لقد شعرتُ ببرودٍ يغزو جسدي وأطرافي، فقلتُ متلعثمة:

_لقد اِستدعتني سرا.....

لم أُكمِل اسمها حتى إلا والصفعةُ من يده الغليظة قد أطاحت بي أرضاً، لقد شعرتُ بالدوار، فنظرَ إليّ بغضبٍ وأنا أُحاول التوازن في وقوفي، وقال:

_في المرةِ المُقبلة، سأُهشمُ عظامكِ.

من جحيمٍ لجحيمٍ، يتبادلون الأدوار، فتارةً تصفعُني سراب وتارةً يصفعُني صخر، لكني أُوقنُ أُنه سيأتِي اليوم الذي يذلُّ به كلُّ من تَجبَّر.

انتهيتُ من جمع الكأس، لأصعد على درجات السُّلم الذي تُفضي درجاته للأعلى، لقد بدأ اِجتماعُ الشيطان سامو وابنه، يبدو أنهم سيدرسونَ شيئًا هاما، فأصغيتُ جيداً علّني أستطِيع إفادةَ سمر بشيء ما، بدأ الملك سامو بالحديث موجهاً كلامه لصخر:

_عارٌ عليكَ يا بُنيّ، رغم شراسَة جنودنا إلا أنك لم تتمكن من العثور على تلك الفتاة.

فردّ عليه صخر:

_أعتذِرُ بشدة يا أبي، لقد تفحّصنا عدداً كبيرا من نسائهم فلم نجد لها أي أثر.

فقال الملك سامو:

_أتدري، يبدو أن أسلوب القتال كل عامٍ في الليلة القمرية لن يُجديَ نفعا معهم، فهم يتوخَوْن أقصى درجاتِ الحيطة والحذر، ويقومون بإخفاءِ أسطورتهم في مكانٍ سري مُحصّن.

فصمت لهُنيهة ثم قال:

_سننتهجُ أُسلوباً آخر.

فقالَ له صخر مُستفسِرا:

_ما هو؟

سنقومُ بإرسال خَيارِ جنودنا بشكلٍ سري، متنكرين بثيابٍ مشابهة لثيابِ أهلِ قوباس، ليجلبوا لنا شخصاً من الطبقةِ الرفيعة، ويعترف عن مكان الفتاة.

فقال صخر:

_فكرةٌ رائعة يا أبي.

فتنحنح الملك سامو ثم قال:

_جهّزْ جُنودا أَشِداء غِلاظ، ومُدهم بالتعليمات اللازمة، وإبقَ مُستعدا، لأُعطيك أمرا ببدء المهمة فأومأ صخر برأسه إيجابا ثم قال:

_لقد وردتني معلومات من المُحارب إلياس، أن الملكَ جبل

حاكم كيتان، يقوم بدعم الزعيم قيس ويمده بالأسلحة والمعدات الحربية، كما أن الأمر تفاقمَ أكثر ليعلمهم صناعة الأسلحة الخطيرة بأنفسهم، كالمجانيق الحارقة.

فقال الملكُ سامو بنبرةٍ غاضبة:

_يبدو أن أُولئك الحمقى لم يتعلموا من الدرسِ السابق، سأُلقنهم درسا قاسيا.

[نسيم]

اِنجلى الليلُ بظُلمتهِ، لتُنيرَ شمسُ الصباحِ طريقنا، ها نحنُ على أعتاب تانتوك، أوقفتُ الجواد فاِستفاقت سمر التي كانت تُرِيح رأسها على كتفي، فنزلتُ عن الجواد وأعنتها على النزول عنه، وأنا أتأمل أسوار تانتوك العظيمة، فسنجازف اليوم بأرواحنا لأجل الخروجِ منها، ربطتُ الجواد في الشجرة وأنا أتحسسُ رأسه برفق، فلا ينبغِ عليّ الدخول به، فلستُ وحدي، فأنا بجانبِ أُسطورة تانتوك التي قامت الحروب وسُفكت الدماء وهُتكت الأعراض لأجلها، نعم صديقي، فأنا بجانبِ سمر.

أخذنا نسيرُ قاصدينَ منزِل إلياس، والدهشة مرتسمة على وجه سمر وهي لم تتوقف عن إزاحة رأسها يمينا ويسارا مُتأملةً لسور تانتوك الشاهق المطليّ بالدماء فقاطعتُ شرودها مُتسائلا

:

_أعتقد أن هذه المرة الأُولى التي تدخلينَ بها تانتوك فأومأت برأسها إيجابا وقالت:

_حقا إنها أعظمُ مما تخيلت.

فأشرتُ لها على المنصةِ الموجودة في باحات القصر الملكي وقلت:

_وهُنا سيتم إعدامنا في الليلةِ القمرية القادمة.

فردت علي بجدية:

_بل سيخترقُ الرمح قلبي.

تبادلنا النظرات لوهلة ومن ثم أُطلقت ضحكاتنا رُغماً عنا ومن ثم قلتُ لها :

_سأخبر إلياس أنكِ من قوباس، لكن إياكِ أن يعلم بشأنِ دمائك الحمراء.

فأومأت برأسها إيجابا وواصلنا سيرنا.

كانت تانتوك تعجُّ بالسكان الذين يحتفلون بلعبتهم الشعبية الشهيرة، فتحيطُ مجموعةٌ من الناس بمُحارِبَيْن، مشكلين حلقةً دائريةً حولهم، فيتبارزون بالسيوف إلى أن يُقتَلَ أحدهم ليدخُل محاربٌ آخر من بين الجمهور واضعاً رهانه في الصندوق،

ليقوم بمبارزةٍ من ربح النزال السابق، ولا توجدُ حلقةُ مُبارزةٍ واحدة، بل العديدُ من حلقات المبارزة تنتشرُ في الشوارع.

قالت سمر وهي تُشيرُ إلى إحدى الحَلقات:

_نسيم، دعنا نُشاهد ذاك النزال.

وافقتُها الرأيَ لنتجه لتلك الحلقة لندُسَّ أَنفُسنا بين الناس بصعوبة ونشاهد.

كان المُحاربان مفتولي العضلات، يحملون سيوفهم وأجسادهم ملطخةٌ بالدماء السوداء، وعلامات الإنهاك ظاهرةٌ على وجوههم، ركض محاربٌ منهم تجاه الآخر ليعلو صوتُ اصطدام السيوف، فتارةً تصطدمُ لأسفل وتارةً تصطدمُ لأعلى، استمر الحال هكذا إلى أن قام أحدهم بضرب الآخر في صدره ليسقط على ركبتيه ويستند بكفه على ساق المحارب الآخر، ليقوم بجذب ذراعه وقطعها بضربةٍ من سيفه، ليطلق صرخةً مُدوية، والدماء تتدفق من ذراعه بغزارة، فقام بشق عُنقه، ليخرس صوته ويخرس صوتُ الجماهير معه ويسقطُ جثة هامدة.

كنتُ مندهشاً، أكاد لا أُصدقُ ما رأتهُ عيناي، لأجد سمر تنظرُ وابتسامةٌ عريضة اِرتسمت على وجهها، أصابني القلق حيالَ هذا، فحبُّ القتال يسري في دمها.

وسطَ أجواء الصمت، قال هذا الوحشُ الكاسر:

_فليخرُج لي متحدٍ آخر أيها الجُبناء بقيت هذه الجملة معلقةٌ في الهواء، شعرتُ بخطواتِ سمر تبتعدُ قليلا، فأمسكتُ بيدها جيدا، فهي متهورة تُريد إشباع شهوة القتال ولا تُبالي بالعواقب التي ستنهالُ علينا إن علم أحدٌ بأمرها.

جَذبتْ سمر يدها من يدي بقوة، فَتَمَلّصَتْ مني لأجدها داخل حلقةِ النزال أمام الوحش الكاسر، أكادُ لا أُصدق، تلك الغبية تريدُ تدميرنا، فهي مسؤولةٌ عن مصيرِ شعبٍ بأكمله، يا لها من فتاةٍ مجنونة.

لم أجد حلاً آخر سوى المشاهدة، تسارعت أنفاسي وسطَ تعجب الجمهور، والسؤال الذي يدورُ في بالهم، أيُّ شجاعةٍ تتحلى بها هذه الفتاة، بدأ لُعابُ هذا المُحارب يسيل، ربما سيلتهمها، لا لا، لا أدري، سأصمت وأُشاهد.

أخرجت سمر مبلغا من النقود وقذفتهُ داخل الصندوق، ووقفتْ مستعدةً وهي تحدق بذلك المحارب بعدَ أن قال لها:

_سأجعلكِ عبرةً لنساء تانتوك أجمع أيتها المُحاربة ثم ركض مُسرعا تجاهها وهو يلوح بسيفه ليوجه ضربةً عمودية فتصدت لها بسهولة ومن ثم قامت بركله في صدره ليبتعدَ عنها، ورمتهُ بإبتسامةٍ ساخرة، يا إلهي لقد غضب هذا المحارب، وقام بنزعِ قميصه، ليشُنَّ هجوما آخرَ ويضربُ بالسيفِ يمينا ويسارا لكنَ سمر تصدت له ببراعة، إلى أن ركع على ركبتيه ليوجه ضربةً بقوة تجاه ساقيها، كاد قلبي أن يتوقف، فلو لم تتفاداها لإنتهى كل شيء.

قفزت سمر مُتفادية لتلك الضربة وشعرها الذهبي يتطاير في أرض النزال، لتركُل المحارب ركلةً في وجهه أقوى من سابقتها ليسقُطَ مُستلقٍ على ظهره.

لقد أهانتهُ أمام الجمهور، ها قد وقف على قدميهِ مُجددا، يبدو أن هذه المرة سيُصيبُها، لقد أخفى الغضبُ ملامح وجهه، فقال لها:

_سأُريكِ غضبَ جربوع أيتها الوضيعة.

هذه المرة إنقشعت الابتسامةُ عن وجه سمر، ليحلَّ مكانها غضبٌ عارم، يبدو أن هذا المُحارب قد أغضبها، وسيلقَى حتفه بأبشعِ طريقة.

اِتجه نحوها بسرعةٍ وهو يُحكِمُ سيفهُ بقبضته، لكن قبل أن يوجه لها ضربةً جانبية، قامت برفعِ قدمها اليُسرى لتوجه ليده ركلةً هوائيةً مستديرةً بكعبها، فيسقط سيفه من قبضته أرضا، ومن ثم وجهت لرأسه ضربةً ساحقة لينفصل عن جسده ويسقط جثة هامدة، فوضعت قدمها على رأسه وقالت:

_أيها الوغد.

ثم توجهت للصندوق وأخذت النقود منه وسطَ صمتٍ رهيب من الجمهور وهم يحملقون بها ليخرُج من بينهم فتى، يصرخ ويبكي على جثة المحارب، ثم خرجت سمر من حلقةِ النزال لنذهبَ سويا لمنزل إلياس.

لم أُرِدْ أن أُفرِغَ غضبي عليها فأكملتُ الطريق معها ملتزما الصمت، وكذلك فعلت هي، حتى وصلنا لأعتابِ منزل إلياس فطرقتُ باب منزله ليخرجَ ويقومَ بِاحتضاني ويرحبَ بنا ايُّما ترحيب.

كان منزلُ إلياس بسيطا وصغيرا، جدرانهُ قديمة متآكلة، ويوجدُ به شُرفتانِ فقط، جلستُ أنا وسمر على الأريكة وجلس إلياس مُقابلا لنا.

_اشتقتُ لكَ يا صاح.

قالها إلياس وهو يختلسُ النظر إلى سمر فرددتُ عليه:

_وأنا أيضا.

ثم أكملت:

_هل تحسنت أُمك ؟

فقال بحزن:

_تحسنت قليلاً وها هي نائمة في الشُّرفةِ المجاورة.

فقلتُ له:

_وأنت ؟

فكوَّر قبضته وكزَّ على أسنانه وقال:

_لن أتحسن إلا يومَ اِنتقامي.

فواسيته ببعضِ الكلمات، ثم قلتُ له:

_أَودُّ أَن أُعرفك على صديقتي سمر.

فردّ قائلا:

_تشرفتُ بمعرفتك سمر ، أنا إلياس.

فقلتُ له باسماً:

_إنها من قوباس.

نظر إليّ مندهشا وهو يتأملُ بها، ثم قال:

_إذن هذا هو الأمرُ الطارئ الذي ذهبتَ قوباس لأجله.

فهززت رأسي باسماً، ثم نهض من مكانه واِستأذن بأن يذهب لشراء الطعام.

اِنقشعت الابتسامة عن وجهي، ليحل مكانها الغضب فقلتُ لسمر:

_ما الذي فعلتِهِ ؟

لم تُجِبْ وحاولت التملص من الموضوع وقالت:

_غريب، لقد عرف أني من قوباس ولم يُظهر أيّ ردة فعل رغم أنه جندي سابق لتانتوك ووقع في الأسر.

فكررت سؤالي مُتجنبا النظر لها، فاِكتفتْ بالقول:

_أعتذر.

فقلتُ لها بنبرةِ عتاب:

_وما الفائدة من الإِعتذار إن عزمنا على تكرار الأخطاء

ثم نظرتُ لها وأَكملتْ:

_سمر لمَ أنتِ أنانية، فكري بي ولو لمرة.

خرجت هذه الكلمات من شفتاي بكل عفوية، لا أُريدها أن تشعُر بما أشعر به تجاهها، فحاولت إيهامها بمعنًى آخر دون أن تفهم ما قصدته فقلت:

_أعتقدُ أن كلاً منا لديه أهدافه، أنا أُريدُ العودةَ لعالمي وأنتِ تريدين إعادةَ الأرض لأصحابها، ويربطنا شيء مشترك، الدم الأحمر، فإن كُشف أمرُ أحدنا، قُضيَ على الآخر، فلا عودة لي ولا أرضاً لكِ

نظرت إليّ بحزنٍ وقالت:

_أعتذر بشدة يا نسيم، ما كان عليّ المبارزة، لكني حقا أستمتِعُ بالقتال، فلا أستطيع التحكم بنفسي عن رؤية تلك المشاهد، أعلم أني لم أكُن على صواب، لكن أعدك ألا أُكرر هذا الخطأ مرة أُخرى

أزحتُ نظري عنها وقلت:

_لكني قلقٌ حيالَ شيء.

فردت مُستفسرة:

_ما هو؟

فقلت:

_بالأمس قمتِ بقطع رأس ذلك الفارس، واليوم فعلتِ أيضا، لا يليقُ بأنثى مثلكِ أن تكون بهذه الشراسة وأن تُلطخ يديها بالدماء

فَوَضَعت أناملها بباطن كفي بحنان وقالت:

_بالأمس لم يكن لديّ خيارٌ آخر فقد كان سببي قويا، فلم أستطِع المُجازفة بك لتبارزه، كما أنني لو أبقيتُه على قيد الحياة لوشى بي أمام الملك، أما اليوم فلم أُخطط لقتله قط، فقد بارزته لأجل المتعة لا غير، إلا أنه اِرتكب حماقةً وشتمني، وهذا مصير من يتجرأ على التفوه بكلامٍ ليسَ فيَّ.

فأحكمتُ كفي على كفها وقلت:

_عليكِ التحكم في غضبكِ سمر لأن الأمر لن يكونَ لصالحِنا

فُتِح الباب ليدخل إلياس وهو يحمل الطعام في يديه، فسحبت سمر يدها بخفة، فوضع إلياس ما يحمله من طعامٍ أرضاً وهو يُحدقُ بنا بِاستغراب، فقلتُ له:

_ما خُطبك إلياس؟

فقال وهو ينظرُ لسمر:

_لا تُخبرني، أنها من قامت بقتل المحارب جربوع ؟

شعرتُ بالقلق حيال هذا، لم أستطِع الإجابة، لترد عليه سمر:

_نعم، أنا من فعلت.

فقالَ وعلامات الغضب قد مَلأتْ وجهه:

_أيُّ غباء ارتكبتِهْ، ما كان عليكِ فعلُ هذا، كل مجالس تانتوك تضج بهذا الخبر.

ردت عليه سمر:

_أعتقدُ أني لم أرتكب أيّ خطأ، ولم أُخالف قوانين اللعب.

قال إلياس:

_كانَ عليك الإكتفاء بالمشاهدة وليس الدخول للمبارزة.

فأجابته ببرود:

_ما كان عليه الاغترارُ بنفسه ووصفنا بالجُبناء.

قال إلياس بحزن:

لا أعلم ماذا سأقول لأَخِيه الأصغر، سيعيشُ وحيداً بعد الآن فاِعتذرتُ من إلياس نيابةً عنها وطلبتُ منه أن يهدأ ويجلس، لنناقشَ بعض الأمور، فباشرت بالقول:

_إلياس لقد أخبرتَني أنك ستساعدُني في البحثِ عن صديقي

فهزَّ رأسه إيجابا ثم أكملت:

_هل من طريقةٍ للوصول إليه؟

فأزاح نظره ناحية اليسار وكأنه يتذكرُ شيئا ثم قال:

_عليكَ الذهاب للساحرة.

فقاطعته سمر قائلة:

_بلقيس.

فأومأ برأسه إيجابا ثم قال:

_نعم هذه مشعوذة قديمة، تساعد الناس مقابل النقود، فقلتُ له :

_أين يمكنني إيجادها؟

رد علي:

_عليك الذهاب لشاطئ بحرِ ديتا شرق المنطقة الملكية، لتجدها تقطُنُ كوخاً صغيرا ثم أكمل:

هل تملكُ نقوداً؟

فردت سمر:

نعم أنا أملك النقود.

فقلت:

_حسنا إذن، علينا النهوض باكراً لننطلق إلى شاطئ ديتا، هل ستأتي معنا يا إلياس فردّ مُتأسفا:

_أعتذر، فأُمي تحتاجُ للعناية.

فقامَ إلياس بتجهيز فراشٍ لسمر في شُرفةِ أُمه، وفراشٍ لي في شرفته، لنخلد إلى النوم.

[قوباس]

[من داخل قصر الزعيم قيس]

الأُمور ليست مُستقرةً داخل القصر، فقد قام الزعيم قيس بإرسالِ دعوةٍ لملك كيتان المدعو جبل لزيارته، فهم يريدون

مناقشةَ بعض الأُمور الهامة، فالعلاقةُ بينهم حميمةٌ جداً، لاسيما بعد أن قام الملك سامو بغزوِ كيتان عن طريق بحر ديتا الذي تطل عليه من الشرق تانتوك وقوباس، وتُطِل عليه من الشمال دولة كيتان، فهي غنيةٌ بالحديد الصُلب، المستخدم في صناعة الأسلحة العسكرية، فقد غزاهم الملكُ سامو في ليلةٍ قمرية بأجسادِ وُحوشه، فسفكَ الدماء ونهبَ الخيرات ودبّ الرعب في قلوب أهلها.

قام جُنودُ قيس بالإِصطفاف جنباً لجنب مشكلين ممراً شرفيا فُرِشَ بالبساطِ الأحمر، ليَعبرُ من خلاله الملكُ جبل وابنه أُسامة، ليتوقف حُراسه عند البوابة التي فُتحت على مصرعيها فتقدم وابنه داخل القصر ورَحَّب بهما الزعيم قيس بحرارة.

قدَّمَ الملك جبل التعازي على أرواح الجنود الذين قتلوا في الليلة القمرية، ثم باشر في صُلبِ الموضوع قائلا:

_هل جَدتْ الخنادق نفعاً مع وحوشِ سامو ؟

ردَّ عليه قيس بعد أن هزّ رأسه:

_نعم لقد أَلحقت بهم أضراراً جسيمة، وقضتْ على عددٍ كبيرٍ منهم، لكن رغم ذلك ألحقوا بنا الضرر عندما اقتحموا القصرَ

من الخلف

فقال له الملكُ جبل:

_وماذا عن سمر، هل استطاعوا كشافَ مكانها؟

فهزّ الزعيم قيس رأسه نافياً ثم قال:

_لقد أرسلتُها إلى تانتوك بعد انتهاء تلك الليلة تغيرت ملامح الملكِ جبل وابنه وهما يحدقان به في دهشة فقال الملك جبل:

_ولِمِ فعلتَ هذا، مازال الوقت باكراً على الليلةِ القمرية القادمة

رد عليه الزعيم قيس:

_لقد أرسلتُها بمهمة.

ثم أكمل بعدما أخذ نفساً عميقاً:

_ستأتي لي بمخططات الملك سامو الحربية التي سيَعِدّها لغزونا، فبعد أن تفاجأ بالخنادق في تلك الليلة، أَظُن أنه سينتهج أُسلوبا آخر، وأيضا عليها أن تتمركز وتندمج هناك كي يَسهُل علينا مهمة ضربها بالرمح الأسطوري في الليلة القمرية القادمة

وتحلّ اللعنةُ بهم

نظر الملك جبل إليه بعد أن قطب حاجبيه وقال:

_وماذا إن أمسكوا بها واِكتُشف أمرها قبل الليلة القمرية

فقال الزعيمُ قيس بنبرةٍ واثقة:

هي ليست كباقي فتياتِ قوباس، فهي أعظم محاربة في هذه الأرض وشديدةُ الذكاء، لكن على كل حال إن أمسكوا بها، لن يتم إعدامها فورا، فسوف تُقامُ مراسم خاصةٌ بها، لأن سامو وعَد شعبه أن يتم إعدامها أمامهم في الليلة القمرية القادمة.

فهزّ أُسامة رأسه موافقا رأيه وقال:

_أَصبتَ يا زعيم، إن أمسكوا بها فسيتداول الناس الخبرَ بسرعة رهيبة وسيصلنا في بضعِ ساعات فقال الزعيم قيس وهو ينقل نظره بين جبل وأُسامة:

_وعندئذ سنغزوهم من جبهتين، أنا من الشمال وأنتم من الشرق عن طريق بحر ديتا، وهذا سيكون كفيلا بإنقاذها من الإعدام أو تأجيل إعدامها للعام القادم على الأقل.

بدا الملكُ جبل مُقتنعا بفكرة الزعيم قيس، فسمر هي الفتاةُ الوحيدة في البلاد القادرة على أن تتحمل مسؤولية كبيرة كهذه تفوقُ الجبالَ وزناً، ثم قال الزعيم قيس مُتسائلا:

_هل اِنتهت جنودي من التدريب داخل كيتان ؟

فأجابه الملك جبل:

_سيستغرقون عشرَةَ أيامٍ ليصبحوا جاهزين للخدمة.

فقال الزعيم قيس:

_وماذا عن الجنود الذين يتعلمون صناعةَ الأسلحة؟

فرد عليه الملك جبل:

_سأُرسلهم لك خلال يومين.

بدت علامات السرور على وجه الزعيم قيس، فقال:

_هذا عظيمٌ منك شكرا لك.

فقال له جبل مجاملا:

_لا داعٍ للشكر، فهدفُنا واحد، هو القضاءُ على سامو.

ثم أدار رأسه تجاه ابنه أُسامة مخاطباً إياه بنبرةٍ آمرة:

_أسرِع بشأن تجهيز جنود الزعيم قيس وغدا قُم بنقل قوافِل الأسلحةِ لهم فهمّ الملك جبل وابنه بالخروج بعد أن صافحوا الزعيم قيس ومن ثم غادرو القصر.

[نسيم]

نهضتُ من النوم لألتفت حولي، فلم أجد إلياس، فخرجت من الغرفة مُتجها لقَربةِ الماء كي أغسل بها وجهي، رأتني أُم إلياس فرحبت بي بحرارة وسألتني عن أحوالي فأجبتها أني بخير، سألتها عن إلياس فأشارت إليّ أنه في الخارج، اتجهت إليه فوجدتهُ جالساً على المنضدة الموضوعةِ بالقرب من باب منزله وهو يتأملُ بالسماء، فقلتُ له مازحاً:

_صباح الخير إلياس، لم أتوقع أنكَ نشيط نظرَ إليّ باسما وقال:

_لأنك كسولٌ يا صديقي فجلستُ بجواره وقلت:

_أيُعقلُ أن تُفيدنا الساحرةُ بشيء؟

رد علي:

_من المُحتمل، فهي أشهرُ ساحرةٍ في البلاد قاطع حديثنا خروج سمر وأُم إلياس وهنّ يَحمِلْنَ الطعام بأيديهن، ومن ثم قامت سمر بتوزيعه على المنضدة، فباشرنا تناولهُ سويا، اِختلستُ النظراتِ لسمر التي بدت كملاكٍ خجول يجلس أمامي، متوردة الخدين من أثر النوم، كانت تأكل الطعام بأدب، حتى نظرت إليّ واِلتقت أعيُننا ببعضها فابتسمت سمر، فاِنتزعتُ نظري عنها تفادياً للإحراج

_هذه سمر صديقة نسيم.

قالها إلياس مُخاطِباً أُمه، التي كانت مُمسكة للكأس بيدها، فقبلت رأسها وقالت:

_أهلا بكِ بُنيتي.

فابتسم إلياس وقال:

_إنها من قوباس.

نَظرت أُم إلياس إليها بدهشة وسقط الكأس من يدها على المنضدة، وقالت متلعثمة:

_ك .. ك.. كيف أَتت، إن أمسكوا بها جنودُ سامو سيقتلوننا جميعا

قال لها إلياس بعدم اِكتراث:

_لا تقلقي أُمي، فهي بارعةٌ في التخفي، كما أنها مُحارِبةٌ عظيمة، فقد قَضَت على جربوع بضربةٍ واحدة بحدّ سيفها كانت أُم إلياس تصغي له وهي تتأمل بسمر في دهشة ، فأكمل إلياس:

_أعتقدُ أنها ستساعدني في اِنتقامي.

اِنتهينا من تناول الطعام، واِستأذنتُ من إلياس، لأنطلقَ على الجواد برفقة سمر لنتجه إلى شاطئ ديتا قاصدينَ الساحرة بلقيس.

اِنطلق الجوادُ مُسرعا، والناس تَنظرُ إلينا ويتهامسون فيما بينهم، شاخصةٌ أنظارهم على سمر، فقلتُ لها:

_يبدو أنكِ حظيتِ بشهرةٍ كبيرةٍ في تانتوك فأجابتني ضاحكة :

_لا عليك، سأشُقُّ عُنق سامو بسيفي، وتلك هي أسمى مراتبِ الشهرة.

فَضَحِكتُ بصوتٍ عالٍ إلى أن قامت بضرب كتفي بكفها مُمازحة، وقالت:

_لا تنسَ أنني سمر.

ثم أكملتْ بعدَ أن اِستعادت جديتها:

_عليّ أن أُخبر زينب بشأنِ قدومي تانتوك فقلتُ لها مستفسرا:

_وكيف ستفعلين وهي تقطن داخل القصر الملكي فقالت:

_نسيتُ أن أُخبرك بشأن التخاطر، فعندما أُريدُ إخبار أي أحد قريبٍ مني بشيء ما، فآتي له في منامه ليرى ما فعلته طوال يومي.

فقلتُ لها بإنبهار:

_هذا عظيم، ستُبلين بلاءً حسناً في مساعدةِ قبيلتك فهزت رأسها موافقة، لنُواصل الطريق لشاطئ ديتا.

وصلنا للشاطئ لنتأمل سماءه الصافية الممتلئة بالطيور ونَستَمع لصوتِ اِعتلاج أمواجه، ونستمتع بنسماتِ هوائه وهي تداعب وجهينا، فبدأنا بالبحث عن ذلك الكوخ، وأنا أنظرُ يمينا ويسارا، فقالت سمر وهي تشير جهة اليمين:

_أعتقدُ أنه هناك.

فأومأتُ برأسي إيجابا، ولكزتُ الجواد ليتجه بنا نحو الكوخ الذي أشارت إليه سمر حتى توقف على أعتابه، كان ذلك الكوخ عبارة عن تجويف داخل صخرةٍ ضخمة، تعتليها صخور صغيرة الحجم مرصوصةٌ فوقها، تقدمنا داخل هذا الكوخ، كان ممره ضيقاً مُزينا بالمصابيح الصفراء القديمة المعلقة على جدرانه، ويفضي في نهايته إلى شرفةٍ واحدة، فقطعنا هذا الممر لندخل الشرفة.

بدا الأَمر مُرعباً حقاً، عجوزٌ مُسنة قاربت حياتُها على الإِنتهاء، تجلسُ أمام نارٍ يتصاعدُ لهيبُها وتلوح أَلسنتها يميناً ويساراً وصوتُ طقطقةِ الحطب كان عالٍ، جدرانُ هذه الشُرفة مزينةٌ بالطلاسم غير المفهومة، كانت تلك العجوز تنظر للنار متجاهلةً وجودنا وهي تردد طلاسم وأَلسنة اللهب تعلو وتهيج، إلى أن صمتَتْ العجوز وهدأت النارُ قليلا، فقالت بصوتٍ أشبه بالفحيح:

_تفضلا بالجلوس.

فعلنا ذلك، لتُكمل وهي تنظُر لسمر:

_ما مَرادُكم.

فقلتُ وأنا أنظرُ إليها:

_قبل ثلاثِ أشهر أتى صديقٌ لي اسمه خالد إلى هذه الأرض، ولا أعلم ما مصيره.

فطَلبت مني أن أقترب، ووضَعَتْ كفها على رأسي ورددتْ طلاسما وهي تُحملق في النار التي تصاعدت أَلسنتها، ثم رفعت يدها عن رأسي وقامت بجلبِ كُرةٍ زجاجية وقذَفتها بيننا، وقالت :

_شاهد.

أَشَعَّت هذه الكُرةُ بالألوان، وخرجَ منها بريقٌ ثم تلاشى شيئاً فشيئا لتتضح الرؤية، وتَظهر صورة خالد لم أُصدق ما رأته عيني فقالت العجوز وأنا أُحدق بتلك الكرة الزجاجية:

_سيتم عرضُ تسجيلٍ مُختصر لحياته منذ دخلوه تانتوك إلى غاية هذه اللحظة إن كان على قيد الحياة فواصلتُ النظر للكرة لتعرض تسجيلا منذ سقوطه من الفجوة التي قد ظهرت في المنطقة الملكية بالقربِ من باحات القصر الملكي، ثم اِختفت الصورة ليحل مكانها مشهد يتوجه فيه خالد لبعض الناس، بدا وكأنه يستفسر عن طريق الخروج ليقوم أحدهم بدفعه ليسقط أرضا ثم يقفُ على قدميه ويُوجه لكمةً قوية لوجهه فأسقطهُ أرضا، فاِنهال عليه الناس ضرباً، ليقوم أحدهم بإخراج خنجرٍ

وطعنه في بطنه، فإبتعد هؤلاء الناس مفزوعين وهُم يرددون شيئًا ما، ليأتيَ بعد ذلك جنودُ سامو مباشرة ويقتادوه إلى السجن، إختفت الصورة ليحل مكانها مشهد وقوف الملك على المنصةِ، وهو ينظر إلى خالد ويخاطبُ شعبه وسط هتافاتهم، ليقوم الجلاد بعد ذلك بعقدِ الحبل حول عُنقه ورَفعه للأعلى لبضعِ دقائق، ومن ثم يسقطُ جثةً هامدة على أرض المنصة، ثم ذهبت الصورة وإختفت الألوان والشعاع من على الكرة وعادت لطبيعتها.

لن أكذبَ عليك صديقي، كاد أن يختفيَ نظري مع إختفاء صورته، خالد الصديق الذي كان بجانبي طيلة حياتي، يرحل بهذه الطريقة !! خالد الذي تحديتُ العالم بأسره على أن أجده يرحل هكذا !! فقلتُ في نفسي:

_عهداً عليّ يا سامو، لأنتقم.

كانت سمر تختلس النظرات إلى وجهي العابس وهي تشفق علي، أغمضتُ عينيَّ لأستعيد رباطة جأشي، فقالت تلك العجوز:

_هل من مرادٍ آخر ؟

فقلت لها:

_نعم.

ثم أكملت:

_لقد أَتيتُ بنفس الطريقة التي جاء بها صديقي خالد، أَمن سبيلٍ للعودة إلى عالمي ؟

فنظَرتْ إلى النار ورَدَّدتْ طلاسمَ أُخرى لتتصاعد السنة اللهب من جديد، ومن ثم صمتَتْ وهدأت النار، ثم نظرت إليّ وقالت:

_طريقةٌ واحدة فقط.

فقلت لها:

_ما هي؟

فقالت:

_عندما يضرب الرمحُ الأسطوري في صدر الفتاة ذات الدم الأحمر، على المنصة، ويُعودَ كل من دفنوا إلى الحياة ، فسيستطيعُ حاكم تانتوك الأصلي فتحَ تلك الفجوة .

لقد تشوشت الرؤية أمامي، خبرُ موتِ خالد قضى عليّ، وطريقة خروجي من تانتوك قد أحرقتني، ما هذا الألمُ بحق السماء، لأولِ مرة أشعرُ بأنني عالقٌ في المنتصف، يبدو أن حربا ستشتعلُ داخلي .نهضتُ من مكاني وكذلك فعلتْ سمر

فأَخرجَت نقوداً من جيبها، وقذفتهُ في حِجرِ الساحرة وشَكَرتها على المساعدة.

خرجتُ من الكوخ عابِس الوجه، كنتُ أَحْمل هموماً فاقت الجبالَ وزناً، لَمْ أجرُؤ على التحدث مع سمر التي كنتُ أسبِقُها بخطوتين، لقد ماتَ صديقي خالد وسيكون موتُ سمر هو طوق النجاةِ لي من هذه الأرض، لا أدري ماذا أفعل، تقدَّمَت عني سمر وجَلَست على شاطئ ديتا فضمت قدميها إلى صدرها وعقدت ذراعيها حولهم وَنَكَّست رأسها، فجلستُ بجوارها، ووضعتُ كفي على كتِفها والتزمتُ الصمت، فقالت بصوتٍ رقيقٍ يتخللهُ الحزن:

_أتدري يا نسيم، ما مقدار الثقة التي منحني إياها الزعيم قيس ليُرسلني إلى تانتوك ؟

فهززتُ رأسي وأَكمَلتُ:

_لقد أرسلني بمهمتَيْن، أن أُخبره بالخطط العسكرية التي سيعدها سامو لغزو قوباس، وأن أتأقلم في تانتوك كي أغتنم الفرصة في الليلة القمرية القادمة كي لا يُواجه المحارب ذو الرمح الأسطوري أيّ صعوبات في غَرْسِ الرمحِ في صدري، فأَوهمته أنني وافقت، لكن الحقيقة ليست كذلك.

فسألتها مستفسرا فقالت:

_كان الموتُ لا يعني شيئاً بالنسبةِ لي، لكن بعد أن أَتيت، أصبحت حياتي ثمينة، ولن أُساوم عليها، من أجل صراعٍ كهذا.

أُصبتُ بالحزن الشديد لسماع تلك العبارة فقلت لها:

_كنتُ أُخطط للخروج بأي ثمن، لكن إن كان مَوْتُك سبباً لنجاتي، فأُفضلُ المكوث الأَبديَّ في تانتوك.

فالتفتت إليّ وعيونها اِغرورقت بالدموع، وقالت:

_لا يا نسيم، سأَكون سعيدةً بموتي لكونه سبباً لنجاتك

ثم أَكملت بعد أن أخذت نفسا عميقا:

_سأندمجُ مع شعبِ تانتوك، وأنتظر اِقتراب الليلة القمرية، لأُرسل إشارةً للزعيم قيس، كي يُرسل المحارب ذو الرمح الأسطوري، سأفخَرُ بنفسي عندما أكونُ ضحية قلبٍ أَحْبَبْتَه، ولن أكون ضحيةً لقومين سيسعدان بموتي.

وضعتُ كفي على كتفها لأُطمئنها قائلا:

_سأبقى بجوارك سمر، ولن أُغادر هذه الأرض، فإما أن نبقَى معاً وإما أن نبقَى معاً، لا معادلةً أُخرى.

فقامت بوضع أناملها الرقيقة بين أناملي، لتجذبها تجاه شفتيها وتطبع قُبلة عليهم، وتقول:

_أُحبك.

أيُّ سحرٍ هذا، أيُّ رقةٍ هذه، بل أيُّ ملاكٍ هذا، أتعلمُ يا صديقي، أنا مِثْلُك تماما أيضا، لم أُؤمن بالحب قط، فأعلمُ أنه هراء وأقوال، لن تجد أي صعوبة كي تُخرج تلك الحروفَ من شفتيك، لكن صدقني أن الحب أكبر من ذلك بكثير، أكبر من مجرد كلمةٍ من أربعة أحرف، أكبر مني ومنكَ ومنها ومنهم، الحبُّ تضحياتٌ ومواقف، فما أجمل أن ترى من تُحب وهو يُساوم على حياته وعلى مصيرِ شعبٍ بأكمله لأجلك دون اِكتراث، تراه أمام الناسِ وحشا كاسرا لا يهابُ أحدا، وتجده بين يديكَ ضعيفا رقيقاً يستنجِدُ بحبك، فهذا هو الحبُّ يا صديق، إن أَحبَبتَ، فأنظر للتضحيات لا للأقوال، فنحنُ أُمةُ أقوالٍ دون أَفعال.

جذبتُ سمر من رأسها وضَممتُهُ إلى صدري بحنان وطبعتُ قبلةً على جبينها وقُلت:

_سأبقى معكِ للأبد.

ثم اِتجهنا للجواد كي نعود لمنزل إلياس، لكن كانت المفاجأة، وحدث ما لم يكن بالحسبان، مجموعة كبيرة من الجنود يزيدُ

عددهم عن العشرين يتقدمون نحونا بجِيادِهم، وكلٌّ منهم يحملُ سيفا، ليتوقفوا أمامنا وينزل عن جواده من يتوسطهم ويقول:

_أيتها الفتاة، لقد أمرنا الملكُ سامو بأن نأتيَ بكِ حالا إلى القصر

ثم أكمل:

_فلتأتِ إلينا بلطفٍ وإلا أَخذناكِ بالقوة.

لقد جفَّ الدم في عروقي لسماعِ تلك الكلمات، لا بد وأنه علم بالسر، فلو ذَهبتْ للقصر وكُشفَت حقيقتها ستكون كارثة، فقلتُ له معترضا:

_وما السبب؟

فرد عليّ بغلاظة:

_لا يعنيك.

فقلتُ لهُ بتحدٍ:

_لن تذهبَ إذن.

فسحبَ سيفه وقال:

_سآخذها بالقوة.

فتدخلت سمر وأمسكت بيدي ونَظرت إليّ باسمةً، وقالت بصوتٍ منخفض:

_لا تقلق نسيم، سأذهبُ وأكون بخير، وسأُخبرك بكل ما سيحدُثُ معي داخل القصر، أعدُك بذلك.

فنظرتُ لها بيأس وقلت:

وماذا إن علم بشأن.....

فردت سمر:

_لن يعلمَ أحدٌ بشأن هذا، أعدك.

ثم تقدم أحدُ الجنودِ لتكبيل يديها، ومن ثم أركبها على الجوادِ وانطلقوا بها إلى القصر، فقلتُ في نفسي:

_أعتذرُ سمر، عجزتُ عن التصرف، فلو قاتلناهم، ربما نُصابُ ونُكشف، ولو اِعترضتُ، لهاجموني وكُشِفت، فكُلُّ الطُرق تؤدي إلى نفسِ النتيجة.

فكان قرارُ سمر هو الأقرب للصواب، حسناً إذن، سأنتظِرُ الأخبار، عليّ العودةُ لمنزل إلياس لأقُص عليه ما حدث، فاِمتطيتُ جوادي وانطلقت.

[لين]

اِستفاق عمار من غيبوبته مفزوعاً، بعد أَن قمنا بنقله أنا ودعاء إلى الأسفل ووضعناه على السرير، تبلورت حباتُ العرق على جبينه وتسارعت أنفاسه، فنظر إلينا بِحِيرَةٍ مُتسائلا:

_ما الذي حصل ؟

تعجبتُ من سؤاله، فردت عليه دعاء:

_حاوَلتَ دخول غرفة المكتبة، إلى أن خرجت اليد الزرقاء وأسقطتك أرضاً.

فقال:

_نعم، لقد تذكرت ثم أكمل:

_لقد رأيته في المنام.

فسألتْهُ مستفسرةً.

_من ؟

فقال:

_لقد أتاني ذلك الشخص ذو اليد الزرقاء، وكان على هيئةٍ مُرعبة وقال بصوته الأجش:

_لا تَمْلِكُ أيّ غايةٍ نبيلة، إياكَ والاقتراب من هذه الغرفة ثم اِختفت صورته لتحل مكانها صورة نسيم وهو ينظر إليّ مُبتسماً ويقول:

_سأعود.

لقد دمعت عيناي لسماع هذه الكلمات التي كانت كطوقِ نجاةٍ لقلبي

فقام عمار من على السرير ليستعد للمغادرة، ولما وصل إلى باب الخروج اِستدار لنا وقال:

_لن أُخبر أُمه أو أيّ أحدٍ بما حصل، ولن أُفكر بالدخول إلى تلك الغرفةِ مرة أُخرى، ولِنَترُك مصيره للقدر ثم غادر.

فقالت دعاء وهي تنظر لباب الخروج:

_أعتقد أنه أصاب ثم أزاحت وجهها إليّ وقالت ببطء:

_فلِنَترُك مصيره للقدر.

فقلتُ لها:

_سامحيني دعاء علي الدخول لغرفة المكتبة.

فحدقت بي بحدة وقالت:

_مستحيل، لن أسمحَ لكِ.

فقلت:

_لا شيء لديّ لأخسره.

فقالت بغضب:

_هل فقدتِ عقلكِ، لن تدخُلي الغرفة ما دمتُ حية.

ثم أكملت:

_هيا فلتذهبي لغرفتك عزيزتي وإياكِ أن تتفوهي بهذا الكلامِ مُجدداً

فأومأتُ برأسي إيجابا واِنصرفت إلى غرفتي.

[إلياس]

كنتُ جالساً على المنضدة خارج المنزل مع ذلك الفتى المدعُو قيصر فهو يبلغ من العمر ستة عشر عاماً، حرمته سمر من أخيه جربوع وقامت بقطع رأسه في النزال أمام الملأ، كنتُ أشفقُ عليه وهو ينوح، فربتتُ على كتفه وقلتُ له:

_لا تبكِ يا قيصر، فأَخوك ماتَ مُحاربا، لقد عاشَ عظيماً ومات عظيما

ثم أكملت:

_ولا تنسَ أن هذه هي قوانينُ المُبارزة، فقد قتلَ أخوك مئات المحاربين ولم يَجرؤ أحد على الإِعتراض فنظر إليّ بحزنٍ وهو يقولُ بصوتٍ مُتحشرج:

_لم يبقَ ليَ أحدٌ يا إلياس.

فقلتُ لهُ مواسياً:

_لا تقلق يا قيصر، سأتكفلُ بك، فستعيشُ بمنزلي بعد الآن فنكَّس رأسه وضرب على المنضدة، بعد أن كوّر قبضته وقال:

_لكن العارَ يا إلياس، لن أنجوَ منه.

فسألتهُ مستفسرا عن قصده، فقال:

_أن تقومَ فتاةٌ بركله في صدره ووجهه ومن ثم تقطعُ رأسه وتدوسُ عليه.

ثم أكمل:

_أيوجدُ عارٌ أشدُّ من هذا ؟

لقد أسكتني كلامه، فقد كان محقاً، فحاولتُ اِمتصاص حزنه قائلا:

_لمَ لا ننظُرُ لجوهرِ الأشياء قبلَ أن نحكم عليها؟، لمَ لا نقول أن أخاكَ عاش مُحارباً عظيماً جَباراً، فقد كان اِسمه يَهُز الميادين، لمَ لا ننظُر لبطولاتِ حياته ونتغاضى عن بشاعةِ نهايته؟ فنكس رأسه وقال:

_لكن أهلَ تانتوك يُعَيّرُونني بتلك النهاية ويقللون من شأني، فحديثُهم مُؤلم، لقد أصبَحت حياتي عاراً بينهم فنظرتُ إليه بجدية وقلت:

_ إلى متى سنؤمنُ بتلك المقولةِ اللعينة **(إرضاء الناس غايةٌ لا تُدرك)** فهي أكبر كذبةٍ تَرَبينا عليها منذُ نعومةِ أظفِارِنا، فلو قام جربوع بقتلها، لألحقوا به العار لقتله فتاة، ولو اِمتنع عن

مبارزتها، لألحقوا به العار ووصفوه بالجبان، وحتى بعد أن قتلته الفتاة، ألحقوا به العار، فلن تسلَمَ من ألسنةِ الناس مهما فَعلتْ فلو أَعَرتَ اِنتباهك لحديثهم، لن تتقدم خطوةً للأمام، ولو تركتهم، لتوقفوا عن النُباح.

بدا وكأنه اِقتنع بحديثي فنظرَ إلي بجديةٍ وقال:

_أُريدُكَ أن تُعلمني رَميَ السِهام.

قاطعنا صوتُ هَملجةِ جوادٍ قادمٍ نحونا، لينزل نسيم عنه ويَجلس مُقابلي على المنضدة بعد أن ألقَى التحية، كان وجههُ عابساً جداً على غيرِ عادته.

فقلتُ لقيصر الذي كان يُحدق بنسيم:

_يمكنك الذهاب للداخل، واِستعدَّ غداً للتدريب.

فقالَ وهو يُشيرُ لنسيم:

_أهذا هو حَبيبُها ؟

فأومأتُ برأسي إيجابا واِنصرفَ للداخل، فأزحتُ نظري عنه لأرى ماذا حصل مع نسيم، فكانَ أولُ سؤالٍ خرجَ من شَفتَيَّ بكل عفوية _ :أين سمر؟

ليبقى صامتاً لوهلة، لكنه قال بعدها:

_لقد أسرها جُنودُ سامو.

اِنتفض جسدي لهولِ ما سمعت، وقلت غيرَ مُصدقٍ:

_ماذا!! وكيف حدثَ هذا ؟؟

فبدأ يسرُد عليّ ما حدث منذُ دخولهم إلى كوخِ الساحرةِ بلقيس إلى غايةِ أسرها.

يا للمصيبة فإن تم اِستجوابُها وعَلم سامو أنها من قوباس، سنذهبُ إلى الجحيم دفعةً واحدة، بينما كانت الأفكار السلبية تتلجلج في رأسي، قال نسيم:

_علينا تغيير المكان، سيكونُ هذا خطرٌ علينا فوافقته رأيه وقلتُ له:

_سنذهب الليلة إلى منزل قيصر، فلقد قُتل أخاه جربوع ولا يوجدُ أحدٌ في المنزل سواه، فلن يصلوا إلينا بسرعة إن وَشَت بنا سمر فرد علي بثقة:

_لا تقلق إلياس، فسمر ليست بذلك الشخص السيء، فلن تشِي بنا أبداً.

أثلجت هذه الكلمات قلبي، فلا أُريدُ لفتاةٍ كهذه أن تُعيقَ اِنتقامي، ولا أُريدُ أن أُسجن بسببها، سأظلُّ أَنتظرُ ظهور الأُسطورة ذات الدمِ الأحمر لأنتقم من سامو بيدي، ثم سألتُ نسيم مُستفسرا:

_وكيف سنعلم بأخبارها داخل القصر ؟

فرد عليّ باسما:

_لا أعلم، لكن ما أَعرفهُ أنها وعدتني بأن تُخبرني، فطلبتُ منه أن يُعينني على حزمِ أمتعتنا الضرورية، للاِنتقالِ إلى منزل قيصر، وتسليم أَنفسنا للقدر.

[سمر]

توقفَ الجنودُ على أعتاب قصرِ سامو فقد قاموا بتجريدي من سلاحي، لتُفتَحَ بعدَ ذلك بوابة القصر الملكي، ويقودني ذلك الجندي إلى الداخل، وأنا مُكبلةُ الأيدي.

قصرٌ عظيم تزينه اللآلئ، جُدرانه مَطليةٌ بماء الذهب، على جَنبيّ الممر الذي تفضي نهايتهُ إلى عرش سامو سُلَّمان يلتفان بشكلٍ دائري للأعلى، كان يجلسُ الملك سامو على العرشِ ويرتدي وشاحاً أَبيضاً حريري، ويعلو رأسهُ تاجٌ ذهبي، مُرصعٌ بالماس، وعلى خصره خنجرٌ ذهبي، وعلى يمينه ذلك اللعينُ صخر الذي لم يكُفّ عن رمقي بنظراته، فهو شابٌ في الثلاثين من عمره، أبيضُ البشرة ذو عينينِ زرقاوين، قويُّ البنية، حيث كان يرتدي وشاحا كوشاحِ والده، ما يُميزه فقط أنه لا يرتدي تاجاً فوق رأسه، وعلى يساره اِبنته سراب، التي

كانت ترمقني بنظرات اِشمئزاز، وخلفي قُرابةَ العشرين جُنديا، كنتُ جاثيةً على رُكبتاي وأحدقُ بهم، فلن يكسِرني بطشهم، مهما كلف الثمن.

_إذن أنتِ المحاربة؟

قالها الملكُ سامو وهو ينظرُ إليّ بإعجاب، فقلتُ مُستفسرةً:

_ماذا تعني ؟

فقال:

_ما أَعنيه أَنكِ من أطاح برأس المحارب جربوع

فأجبته قائلةً:

_نعم.

ثم أكملت:

_وما المشكلةُ في ذلك ، فلمْ أُخالف قوانين اللعبة.

فقال بعد أن قطب حاجبيه:

_المشكلةُ أنه من أقوى محاربي البلاد، فكيفَ أَطحتِ به بثوانٍ فقط،

فقد ضجت تانتوك أجمع بهذا الخبر.

فقلتُ له محاولةً استفزازه:

_ببساطة، عليكَ أن تتدرب.

في هذه اللحظة قام صخر من مكانه ليتجه نحوي وهو ينظرُ إليّ مُبستماً، إلى أن توقف على بعد خطوةٍ واحدة مني وأمرني بالوقوف، ففعلتُ ذلك، صَدّقني وَددتُ أن أبصُقَ في وجهه لكن ينبغي علي الهدوء لأرى ما سيحدث.

قام صخر بسحبِ خنجره من على خصره، وهو ينظرُ إليّ، تبلورت حبيبات العرق على جبيني وتجمد الدم في عروقي من هول الموقف، غيرُ معقول، كُشِفَ أمري لا محالة، وإعدامي باتَ قريبا، فأنا مُقيدة وعاجزةٌ عن فعلِ شيء.

اِلتزمتُ الهدوء وتصنعتُ عدم المبالاة ليدور صخر خلفي ويقومَ بقطع الحبل المُلتَف حول يدي.

تَنفستُ الصُعداء، فلم أتصور أنني سأنجو، اِعتقدت أنه سيقومُ بطعني، ليتأكد من لون دمي، لكن القدرَ مشى كما اشتهت سفينتي. أمرَ صخر أحد الجنود بإعطائي سيفاً ففعلَ ذلك، ثم نادى على حارسه الشخصي الذي يُدعى بلال، وقال له بنبرةٍ آمرة:

_عليكَ بمبارزتها.

يا للهول، إن أصابني بخدشٍ بسيطٍ فقط، سأكون في ورطة.

كان هذا المحارب مفتول العضلات طويل القامة، شعره مجعد،

وبشرته داكنة. يَنظرُ إليّ بغضب، فوقف مُستعدا، فقال الملك سامو:

_لو قضت عليه الفتاة، سيكون خسارةً كبيرةً لنا فرد عليه صخر ببرود:

_لا مكان للضعفاء بيننا يا أبي.

لقد نظرتُ لعيني ذلك المحارب، لقد وَدَّ اِقتلاعَ قلبِ صخر لقسوته، فأدركَ في هذه اللحظة أنه مُجردُ عبدٍ ذليل يعمل لصالحه

وقف هذا المحاربُ وقفة اِستعداد وعلاماتُ الغضب تملأُ وجهه، والجنود خلفنا تُراقب بصمت، إلا أنني قلتُ مخاطبةً صخر:

_لا أُريد القتال ، فأنا لستُ دموية.

فقطب حاجبيه ثم نظر إلى المحارب دون أن يكترث لما قلته تواً وقال:

_اقضِ عليها.

كانت هذه مُفاجأةً كبيرة، فمازال سيفي في غمده ولم أقف وقفةَ اِستعدادٍ حتى، ليشُن هذا المحاربُ هجوما سريعا موجهاً ضربة

إلى رأسي، إلا أنني حَنيتُ جذعي واِستطعتُ التملص منها فأَخرجتُ سيفي من غمده بسرعة ليبدأ القتال.

كان هذا المحارب أقوى من أي شخصٍ بارزته سابقا، فهو يستطيعُ التصدي لضرباتي بسهولة، ويُوجه ضرباتٍ سريعة وقوية لي، لقد أصابني الذهول من قوته، فأي غلطةٍ بسيطةَ ينتجُ عنها موتي، وبالتالي موتُ نسيم ويليه موت أهلُ قوباس أجمع، عليّ التركيزُ جيدا.

تعالى صوت تصادم السيوف، وسط ذهول الحاضرين، فبدت علامات الإنهاك على وجهِ المحارب، فمنذ بداية النزال وهو يهاجم بشراسة بينما كنتُ أُدافعُ فقط لأحتفظ بقوتي لحظةَ ضعفه، يبدو أنه ليس ذكيا بالقدر الكافي.

قام بتوجيه ضربةٍ أُفقية تجاه رأسي، فتمكنتُ منها، ووجهتُ ركلةً لساقه، فسقط أرضا.

أعادَ الكرّة من جديد، فبدأ بالهجوم، لكن هذه المرة كان أضعف وأبطأ بكثير، فأدركتُ أن نهايته قد حانت، لأضرب ساقه بحدّ سيفي، فسقط السيفُ من يده واِفترش الأرض بجسده، وهو يصرخُ قابضاً بيده على جرحه، فلم أنوِ قتلهُ أبدا.

قام صخر من مكانه مُتجها نحوه، لينحني بجذعه ويلتقطَ سيفه ويغرسهُ في صدره، لتغرق الأرض بدمائه السوداء ويخرسَ صوتهُ للأبد.

قام الملك سامو وصخر بالتصفيق، وكذلك فعل باقي الجنود، وهم يُحدقون بيَ بذهول، فاقترب صخر مني، ووضع كفه على كتفي، وقال:

_يَسُرني أن تكوني حارستي الشخصية بعد الآن، وستتولينَ مهمةَ تدريب نُخبةِ الجنود.

فرمتيه بإبتسامةٍ مزيفة، ليُناديَ على زينب لتأتي مُباشرة وهي تُحدق بي بدهشة وتقول له:

_نعم سيدي.

فردّ عليها:

_جهزي شرفةً تليقُ بمحاربةٍ عظيمة مثلها، فأنتِ الآن طوعُ أمرِها

فقالت زينب:

_تفضلي بالصعودِ سيدتي.

اِتبعتُ زينب لتتجه نحو الشرفة التي أمرها صخر بتجهيزها، فدخلتُ خلفها وأَغلقتْ بابها، ثم اِرتمت بين ذراعيَّ وهي تجهش

بالبكاء، أشفقتُ عليها وقبَّلتُ رأسها وسألتُها عن حالها فقالت:

_لقد مِتُّ يا سمر ، لقد مِتّ.

فحاولتُ التخفيف من رَوعها وطَلبتُ منها أن تستريح على الأريكة فقالت وأنا أَمسحُ دموعها:

_لا أدري كيف نجوتِ من المعركة في الأسفل، فبلال من أقوى محاربي تانتوك.

فقلتُ لها بفخر:

_وأنا سمر أيضاً.

ثم أكملت:

_أخبريني ماذا حصل لكِ بالتفصيل.

فبدأت تقصُّ عليّ كل ما حصل معها من إهاناتٍ على يد سراب وصخر، والدموعُ على وجنتيها، حتى اِنتهت من حديثها، فقلتُ لها:

_لن يَمُسّكِ أحدٌ بسوءٍ ما دمتُ بالقصر.

فاِحتضنتني شاكرةً لي وقالت:

_هناك أمرٌ هام.

فرددتُ عليها مستفسرةً:

_ما هو ؟

فأخَذتْ نفساً عميقاً وأكملت:

_الملك سامو وابنه صخر يُخططان لغزو قوباس عن طريق إرسال نُخبةٍ من الجنود ليأسروا أحداً من الطبقة الرفيعة، ويعترف عن مكانك.

فابتسمتُ لها وقلت:

_سأُبلغ الزعيم قيس بهذا الخبر، كي يستعد جيدا.

فقالت بحزن:

_أليس وجودك في القصرِ خطرٌ كبيرٌ لمستقبلِ قوباس؟

فأجبتها بثقة:

_على العكس، فخيرُ طريقةٍ لإيهام عدوك، هي أن تبقي بجانبه، فلن يبحثوا عني في تانتوك أو داخل القصر فقالت:

_ما لذي تخططين لفعله:

_سأُوَطد العلاقة مع صخر لأَكسب ثقته، وأَغتنم الفرصة في الليلة القمرية القادمة فقالت بحزن:

_لا تستحقين هذه النهاية يا سمر.

فقلت لها بفخر:

_لا مجد دون تضحيات.

فقاطعنا صوت طرقاتٍ على الباب، فإنتفضتْ زينب من مكانها لفتحه لتَرى وجه سراب العابس وهي تكشر عن أنيابها وتقول لها:

_لمَ لم تأتِ لغسلِ أقدامي.

فتَراجعت زينب للخلف وعلامات الخوف قد ملأَت وجهها، فنهضتُ من مكاني لأقف في وجهِ سراب، وقلت لها:

_هي طوعُ أمري، ولا سلطان لكِ عليها.

فثقبتني بنظراتها وقالت بِتَبجُح:

_من أَنت ِوما شأنكِ؟

فقلتُ لها ببرودٍ قاتل:

_أنا المحاربة سمر.

فاشتعلت غيظا وقالت وهي تشير إليّ:

_عليكِ ألا تَغْتَري بنفسك وإلا.....

فقلتُ لها باستفزاز وأنا أُزيحُ خصلةَ شعري عن عيني:

_لا تخبريني أَنكِ تُريدين مُبارزتي !

فَخَرجَتْ من الشُرفة بغضب وهي تتمتم ببعض الكلام غير المفهوم، فقد كنتُ أعلم أن صخر حَذَّرها من إزعاجي، لذلك كنتُ أثقُ بكُل كلمةٍ أُخرِجها من فمي، فَنَظرتُ لزينب التي

كانت تُحدق بي وعلامات الدهشة قد ملأَت وجهها، فقلتُ لها باسمةً:

_أَرأيتِ عزيزتي، هذه الحياةُ في تانتوك، فالقوي يَتَرَبّعُ على العَرشِ في القمة ويخضعُ له الجميع، أما الضعيف لا مكان له.

ثم أكملت:

_إستعدي غدا، سَأَصْطَحبُكِ معي عند تدريب الجنود، فأومأت برأسها إيجابا، ثم تمددتُ على السرير لأَخلُدَ إلى النوم فلدي رسائلٌ هامة أُريدُ إيصالها للزعيم قيس ونسيم.

[نسيم]

ها قد حل الصباحُ في أول يوم لنا داخل منزل الفتى قيصر، ذلك الفتى العازم على التدريب، نهضتُ من فراشي لأغسل وجهي، وأُخبر إلياس بما رأيته في منامي، لقد كان شيئًا فظيعاً حقا، رأيتُ سمر منذ دخولها للقصر، إلى غاية أن ذهبت للنوم، نعم لقد أخبرتني سابقا أنها تستطيع التواصل عن طريق التخاطر، فبدأتُ أسرد على إلياس ما رأيته لكن دون إخباره أنها تحمل دماءً حمراء، فإنتهيتُ من الحديث ليقول لي بدهشة:

_عظيم، لقد هزمت حارس صخر الشخصي بسهولة دونَ أن يَخدِشها حتى رُغم عدم اِستعدادها، يا لها من محاربةٍ عظيمة فقلتُ له:

_أتعتقد أن تُكشف أنها من قوباس يوما ما ؟

فرد علي وهو يحك رأسه بسبابته:

_لا أعلم، لكن من المحتمل إن كَسِبت ثقة صخر، ستستطيع جلب أسطورة تانتوك بكل سهولة، فهي ذكيةٌ وبارعة، لقد أصابني القلق حيال هذا، فأنا أخفي عن صديقي سراً خطيرا، لربما إن علم به، سيغضبُ مني ثم أتى قيصر ليخاطب إلياس قائلاً:

_فلنبدأ التدريب.

فدعاني إلياس للتَدَرُّب معهم، فقبلتُ دعوته، لنرى ما يخبئه القدر لنا

[الليلة القمرية]

مرت الأيام بسرعة ليقترب موعد الليلة القمرية، تلك الليلة الدموية، فقد كلّف صخر سمر طوال تلك المدة مهمة تدريب نُخبةِ جنوده على مهارات القتال، نظراً لإعجابه الشديد

بقدراتها، ومنذ ذلك الوقت، كانت سمر تتواصل مع نسيم بالتخاطر، فتأتي له كل ليلةٍ في منامه ليعلم بحذافير ما حصلَ معها داخل القصر، وكذلك مع الزعيم قيس أيضا، حيث كشفت له كل مخططات سامو وإبنه، ومنذ ذلك الوقت أيضا طلبت سمر من نسيم أن يتدرب مع إلياس فهي تتمناه أن يكون محارباً عظيما لتَفخَرَ به، فقد كان يتدرب يوميا مع إلياس وقيصر الذي باتَ محارباً قويا، وأتقنَ رمي السهام ببراعةٍ ودقة، وأيضا سمر اِزدادت قوةً وهي تتولى مهمةَ تدريب جنود سامو.

ثلاثُ أيامٍ فقط تبقى على الليلة القمرية، ثلاثُ أيام فقط ليتم غزو قوباس، ومن المحتمل أن يغزو كيتان أيضا ليأخذ بالثأر، فالأوضاعُ مضطربةٌ على هذه الأرض، فكلا الجبهتين يعِدون أنفسهم جيداً ويحشدون جيوشهم، وفي هذا الوقت، قد أَرسلت سمر إشارةً للزعيم قيس بأن يُرسل المحارب ذو الرمح الأُسطوري إلى أرضِ تانتوك، كي تُخفيه جيداً في الداخل، لِتُسَهِل عليه مهمة ضربها بالرُّمحِ لحظةَ اِكتمال القمر دون أن يَلحظهُ أحد.

[سمر]

أيامٌ قليلة فقط ليُحسمَ الصراعُ الذي سأكون ضحيته، ثلاثُ أيام لعودةِ محبوبي لعالمه، فمنذُ دخولي لقصر سامو لم أرهُ قط، لقد اِشتقت إليه حقاً، أَودّ أن أُعانقه عناق المحبين، كان كل يومٍ يمرُ دون رؤيته طويلا في الوقت ثقيلاً على القلب، لكني وعدته أن يَرَاني كل يومٍ في منامه وقد وَفيتُ بوعدي، أُريدُ أن أراهُ محاربا عظيما، أشعرُ أنني ضعيفة بجانبه رُغم قوتي، لقد أخبرته الليلة الماضية أن عليّ مقابلته، لربما لن يراني بعدها إلا على المنصة والرُمح يخترق صدري فالمحارب ذو الرمح الأُسطوري قد دَخلَ تانتوك، نعم، أُريدُ وَداعا يليقُ بحبنا، أُريدُ وداعا يخمِدُ لهيب قلبي.

ها قد أَنهيتُ مهمة تدريب الجنود لغزو قوباس، وسأُرسلُ الخُططَ والتكتيكات العسكرية للزعيم قيس ليكون على أهبة الاستعداد.

كُنتُ جالسةً في القصر مع الملك سامو وابنه صخر نتناقشُ بأمورٍ عسكرية فإذ ببوابةِ القصر تُفتَحُ على مصرعيها، ليتقدم الحارسُ وينحني بجذعه إجلالاً للملك سامو، وقال:

_الساحرةُ بلقيس تَوَد الحديث معك في أمرٍ هام فرد عليه الملك سامو:

_أَدخلها.

فأَذِن لها الحارسُ بالدخول، لتتقدم بقامتها القصيرة وهي تستند على عصاها مدببة الرأس، وظَهرها ينحني للأمام لكبر سنها، اِستراحت مقابل الملك سامو وصخر، أصابني القلق حيال هذا، فلقد رأتني عندما ذهبنا لها أنا ونسيم وسألناها عن مصير خالد، وها هي الآن تحدق بي وأنا جالسةٌ بجوار صخر فقال الملك سامو:

_ماذا هناك أيتها العجوز؟

فقالت بصوتها الذي يشبه الفحيح:

_أُسطورةُ تانتوك.

فقالَ سامو بعد أن اِعتدل في جلسته:

_ما بها؟

فقالت له بابتسامة خبيثة:

_إنها داخل تانتوك.

_ماذا !!؟؟؟؟

خرجت هذه الكلمة من أفواههم وعلامات الصدمة اِرتسمت على وجوههم، وكادت عُيونهم تسقُطُ من مَحجرها، شعرتُ ببرودٍ في أطرافي، لقد اِقتربت نهايتي على يديهم.

فقال لها سامو بلهفة:

_منذ متى وهي في تانتوك

فردت عليه:

_منذ فترةٍ طويلة.

فقال سامو:

_أتعرفين مكانها بالتحديد؟

فردت عليه بعد أن رمقتني بنظرةٍ ثاقبة:

_بالطبع ، وأعلم لون ثيابها أيضاً.

فقال صخر بغضب:

_ولمَ لمْ تُخبرينا منذ البداية؟

فقالت ببرود:

_لا أكترثُ لمصيرِ أحد.

فقال سامو بجدية:

_أخبريني بمكانها.

ردت عليه:

_وما المقابل؟

فقام سامو بنزعِ السيفِ الذهبي عن الجدار، وأعطاها إياه وقال :

_سيفٌ من ذهب.

أَخذت بلقيس تتأمل السيف وتتحسسه بأصابعها، لقد كنت أتظاهرُ باللامُبالاة وكل ما يدور برأسي، ما الذي سأفعله عندما تُشير إليّ ويُكشف سري، كان قلبي ينبُض بشدة وأنا أَنظُرُ لها وهي تَتحسسُ السيف حتى أنه كاد يتوقف عن النبض.

فقالت بلقيس بعد أن رفعت عينها عن السيف ونظرت لسامو:

_عشرون سيفا من ذهب.

اِتسعت حدقتا عين سامو لما سمعه، واِتجه صخر نحوها بغضبٍ

وكوَّر قبضته وقال:

_يا لكِ من عجوزٍ شمطاء، أخبريني بمكانها الآن أيتها القذرة

فَنظرت إليه بتحدٍ، واِعتلت وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

_يُمكنُكَ قتلي.

كاد أن يوجه لكمةً لوجهها إلا أنه يعلمُ عواقب هذا، ثم نهضَتْ بلقيس من مكانها واِتجَهَت نحو البوابة وتوقفتْ على أَعتابها واِستدارت لتقول:

_تبقى ثلاثُ أيامٍ فقط ويَكتمل القمر، سَأنتظر السيوف غداً، وإن لم ترضَ بهذه الصفقة، فأنا أَقطنُ داخل كوخٍ في شاطئ ديتا، يُمكنُك إرسال جنودك لقتلي، لكن عليك أن توقن في تلك اللحظة أني سأموت ويموت السر معي وتموت أنت أيضا.

غادرت بلقيس القصر، فتنفستُ الصعداء وعلامات الغضب على وجه سامو وابنه، كدتُ أَنْ أُقتل من الدهشة، لقد نجوتُ بأُعجوبة، فالقدر لا زال حليفا لي.

صمتٌ عارم يجوب القصر الملكي، وأنا أقفُ على أعصابي، سأخوض معركةً عقلية بذكائي، فإما أن أنتصر وتكون نهايتي سبباً لإرجاع الحق أو أقتل ويظلُّ الحق مسلوباً، عليكِ التركيز يا سمر، نعم عليكِ التركيز.

بدأ سامو بالحديث مع صخر لإيجادِ حلٍ لهذه المشكلة، فقال سامو بغضب:

_تلك الحمقاء، لقد عَرِفت كيف تُوقفني عن قتلها فقال له صخر :

_يجب علينا صناعة السيوف بسرعة، لتخبرنا عن مكانها قبل الليلة القمرية.

اِلتزمتُ الصمت لأقتنص الفرصةَ المناسبة لإبداءِ رأيٍ سديد بالنسبة لهم ومُنجٍ بالنسبة لي.

رد الملك سامو:

_عشرون سيفا من ذهب سيستغرقُ صناعتها ثلاثة أيامٍ على الأقل ، وبذلك يكون القمر قد اِكتمل، ولن تُفيدَنا بشيء.

نظر صخر لوالده وقال له بنبرةٍ واثقة:

_لا عليك، سأتكفلُ بأمر السيوف خلال يَومين.

رد عليه سامو مستفسرا:

_وكيف ؟

قال صخر:

_سأجمع خُبراء تصنيع الأسلحةِ، وأُخبرهم أن عليهم صناعةُ عشرين سيفاً خلال يومين، مقابلَ أن أعطي لكلٍ منهم سيفا ذهبيا بعد اِنتهاء الليلة القمرية مكافأةً لهم فتدخل الملك سامو قائلا :

_وإن لم يفعلوا ؟

فرد صخر بابتسامة خبيثة:

_سأُخبرهم من البداية، أني سأقتلهم واحدا تلو الآخر، إن لم ينتهوا من صناعتها خلالَ يومين.

أُعجب الملك سامو بهذه الفكرة وبدا راضٍ عنها، ثم قال:

_لكن علينا أن نحرص ألا يُشاع خبر وجودها في تانتوك وإلا ستتمكن من الهرب، نعم إنها الفرصة المناسبة، يجب عليّ أن أتدخل، فقلتُ له وأنا أَتصنع الإِحترام:

_إسمح لي سيدي بإبداء رأيي.

فنظر إليَّ وقال:

_تحدثي.

فقلتُ له بنبرةٍ واثقة:

خبرٌ خطيرٌ كهذا لا بد وأن يشيعَ بين الناس بسرعة، فيجب علينا نشرُ جنودنا بشكل مُكثف على حدود تانتوك وتحديدا على الحدود القريبةِ من قوباس، كي لا تتمكن الفتاة من الهرب هُناك ثم أَخذتُ نفساً عميقاً وأَكملتْ:

_وأَستطيعُ أن أُشرف على مهمة البحث عنها داخل تانتوك، فسأَنشر الجنود بشكلٍ مكثف في المناطق القريبة من القصر وباحاته، فهذه الفتاة تستهدف الوصول للمنصة في الليلة القمرية، فلا بد أن تكون قريبةً منها كي تَسهُلَ عليها مُهمة

ضَربها بالرمح الأُسطوري، وسأقوم بمنعها كانوا ينظرون لي بدهشة لسدادِ هذا الرأي، فقال سامو:

_أُريدها حية، إياكِ وقتلها، حتى لو كلفكِ ذلك التضحيةَ بجنودنا، فيجبُ عليّ إعدامها أمام الشعبِ أجمع في الليلةِ القمرية فقلتُ لصخر:

_سأصطحب الخادمة زينب معي، فهي الوحيدة القادرة على مساعدتي.

فهز رأسهُ إيجاباً، ثم قال له سامو:

_اِذهب فوراً للبدءِ بمهمة تصنيع السيوف.

ثم أزاحَ نظرهُ وقال لي:

_وأنتِ يا سمر، قومي بتوزيع الجنود.

صعدتُ على درجاتِ السلم متوجهةً للشرفة، لأُبَشّر زينب بنجاح خطتي، فقد وقعو في فخ الثقة، وأَعدهم بألا يثقوا بأحدٍ بعدَ هذه التجربة.

اتجهُتُ لزينب التي كانت تنتظرني بلهفةٍ، فقالت لي:

_غير معقول ما يحدث، فقد كنتِ على شَفَا حُفرةٍ مرةً أخرى ونَجَوْتِ، عجيبُ أَمرُك يا سمر.

فقلتُ لها باسمةً:

_علينا أن نسرع يا زينب، سأَصطحبك معي لأقوم بنشر الجنود، وأَخلُد للنوم كي أُوصل رسائلي للزعيم قيس، وغداً عليّ مقابلةُ نسيم والمحارب ذو الرمح الأُسطوري، لأَمُدَّه بالتعليمات اللازمة.

[نسيم]

اِنقضى أَولُ يومٍ من الأيامِ الثلاثة، ليأتي اليوم الثاني بحِلته، تبقى يومانِ فقط لوداع سمر، يومان فقط لتفدي شعبها بروحها، يومان أيضا كي أعود لعالمي، لم أعد أُمَيز بين فرحٍ و حزنٍ، فكيف سأَفرح بعودتي لبلدي لحظة قتل مَن أَحببت، لكن لن أجزع، سأراقب القدر فحَسبْ.

فقد أتتني في المنام ورأَيتُ ما حصل معها، كادت الساحرة بلقيس تطيحُ بنا لولا شيمةُ الطمع، فرُبَّ شيمة سيئة قد تكون سبباً لنجاتك، هكذا فعلت بلقيس، فقد طَمِعت بعشرين سيفاً من الذهب، لأَنها تعلم جيداً أنه لا خيارَ آخرَ لدى سامو، فَسَيُنفذُ طَلبها رُغمَ أَنفه.

كنتُ أَنتظرُ سمر بلهفة على شاطئ ديتا، هي من اِختارت هذا المكان، لبعده عن الأَعين والأنظار، كنتُ جالسا على رمال الشاطئ أتأمل طلوع الشمس، وإذْ بصوتِ هملجةٍ تتعالى،

لأنظُر ناحِيةَ مصدر الصوت لأرى جوادا أبيضاً يتجه نحوي، تعلوه تلك الفارسة، نعم، تلك الحبيبةُ التي طال غيابها، تبدو كَملكةٍ، ترتدي وشاحاً أَبيضاً حريري، وشعرها الذي يتطاير في الهواء لتنعكس عليه أشعة الشمس فيصبح وكأَنه مطليٌ بماءِ الذهب أو هو أَشدُّ بَرِيقاً، نعم، إنها حبيبتي سمر.

وَثَبَتْ عن جوادها، لتركض مُسرعةً نحوي وترتمي على صدري لأعتصِرها بين ذراعيّ، وهي تبكي طالَ العناق وتمنيتُ لو أَنه لم ينتهي، لتقول سمر:

_اِشتقتُ لك نسيم.

فطَبعتُ قُبلةً على جبينها وقلت:

_وأنا يا أميرتي.

ثم حملتُ رأسها بين كفيّ ومسحتُ دموعها وأَكملت:

_لقد تغيرتِ يا سمر.

فردت علي باسمةً:

_حقاً ؟؟ رُبما أَصبحتُ جميلةً.

فقلتُ لها وأنا أتأمَّلُ جمال عينيها:

_كُنتِ ولازلتِ وسَتبقَيْ جميلة.

فقامت بسحب سَيفها من غمده بسرعة كبيرة لتوجه ضربةً لي إلا أنها توقفت في آخر لحظةٍ وقالت:

_لمَ لمْ تتفاداها.

فقلتُ مبتسما:

_كنتُ أعلمُ أنكِ ستتوقفين.

فابتعدت عني قليلا وقالت:

_حسنا ، لن أتوقف هذه المرة.

ثم أَكملت:

_هل أنت جاهز ؟

فسحبتُ سيفي من غمده وقلت:

_نعم

لتبدأ المواجهة، ضرباتٌ متتالية منها اِستطعتُ أن أتصدى لها، لأَشُن هجوماً وتتصدى له، كنتُ أعلم أنها لا تهاجم بجدية، فهي تريد معرفةِ مقدار ما تعلمته، إلى أن قامت بغرس السيف في غمدها، وقالت:

_هذا ما توقعته منك أميري، فقد أصبحت محارباً عظيماً فسأَلتُها عما تخطط له، فقد تبقى يومان فقط لإِكتمال القمر، فقالت:

اِتّبعني، فسنتوجه للكوخ الذي يقطن به المحارب ذو الرمح الأُسطوري.

فأَومأتُ برأسي إيجابا، واِنطلقنا.

وصلنا إلى الكوخ لتتقدم سمر داخله، فَينحني لها المحارب اِحتراماً وإجلالا، فطلبت منه سمر أن يعطيها الرمح، ففعل ذلك، كان مُغلفاً بقطعِ القُماش، فقامت سمر بنزعِ القماش عنه ليَشِعَّ الرمح الأُسطوري ببريقٍ أزرق نَظَرتْ سمر إلى المحارب وقالت بنبرةٍ آمرة: _ اِنتظر في الخارج.

فهز رأسه إيجابا واِنصرف، ثم نَظرت إلي والدموع تجمعت في مُقلتيها وقالت بحزن:

_هذا من سَيحرِمُني منك مسكتُ يدها بلطف وقلت:

_أتدرين يا سمر ماذا سيحصلُ ليلةَ غد ؟

فقالت:

_ماذا؟

فقلت لها بحرقةٍ:

_ستموتُ من أَحْبَبتْ، سَتموتُ مَن مَلكَتْ قلبي، ستموتُ من سَلبتْ فُؤادي.

ثم نظرتُ لعينيها وأكملت:

_أما أنا، فلن أسمح بموتها.

فردت علي:

_لا يا نسيم، فَيجب عليك العودةُ لعالمك، أما أنا فأحملُ على كتفي عِبء شعبٍ بأكمله.

فقلتُ لها ولازلتُ أَنظر لعينيها:

_أتذكرين يا سمر عندما أَخبرتك أني سأفديكِ بروحي ؟

فردت علي:

نعم أذكر.

فقلتُ لها بنبرةٍ واثقة:

_سأَفديكِ بروحي أميرتي.

ففاضت عيناها لتحتضنني مرةً أُخرى ومن ثم قامت بمسح دموعها وتَوجّهت خارِجَ الكُوخِ إلى المُحارب وأَعطته الرمح وقالت له:

_غدا سآتي إليك لأصطحبك معي إلى المنطقة الملكية، لأَضعك في مكان بعيدٍ عن الأَعين، كي تستطيع ضرب الرمح بسهولة لحظة صعودي على المنصة.

فأومأ برأسه إيجابا، ثم نظرتْ إليّ وقالت:

_أين ستذهب الآن ؟

فقلتُ لها:

لمنزل إلياس.

فقالت:

_وأنا أُريدُ رؤيته أيضاً، فسيكون آخر لقاءٍ بيننا.

ثم اِمتطت جوادها وصعدتُ خلفها واِنطلقَت باتجاه المنطقة الملكية.

[إلياس]

لقد ضَجّت أَرجاء تانتوك بخبرِ وجود الفتاة ذات الدم الأَحمر على أَرضها، حيثُ اِنتشرت الجنود في المنطقة الملكية بشكل رهيب، باحِثين عن تلك الفتاة، لقد أُصيبَ الناس بالهلع، فالكارثة ستحل بهم ليلةَ غد إن تم ضربها بالرمح على المنصة، يجبُ علي إيجادُ تلك الفتاة بسرعة أو إيجاد المحارب ذو الرمح الأسطوري على الأقل، وإلا سيجدهم الملك سامو ويحرمُني من لذة الاِنتقام، وينتهي كل شيء.

كنتُ جالسا مع قيصر الذي أتقن فنون القتال، وغَدا مُحاربا عظيما، لا يَخرجُ إلا وقوسُ السهامِ معه، لم أَكن أَعلم سبب ولَعهِ الشديد لِرمي السهام، حتى كنت أراه في منتصف الليل، يتدرب على الرميِ وحده، فأَشفقتُ عليه مرةً وهو يثقب

بنظراته تلك الدائرة التي رسمها على الشجرةِ لِيعتبرها هَدفا له يُصوب سهامه عليها، فقلتُ له:

_لا أدري سببَ حُبِكَ الشديد لرمي السهام يا قيصر فقال بعد أن قذف سهمه ليستقر في منتصف الدائرة:

_أتدري يا إلياس ما أفضل طريقة للاِنتقام من المرء فتعجبتُ من سؤاله ، وقلت:

_أن تقتله.

فقال:

_لا.

ثم أدار رأسه لينظُر إليّ ويكمل:

أن تقتل من يُحِبُّ أمام عينهِ، فسَيعيشُ حياتَه يُقتلُ كلّ يومٍ وهو على قيدِ الحياة.

لم أفهم قَصْدَه، فأخبرته أن يذهب للنوم ويُكملَ تدريبه غداً، ففعلَ ذلك.

اِكتظت تانتوك بالناس، وغمرت أصواتُ الصخبِ شوارعها، واِنتشرَ الجنود بكثرةٍ في المنطقة الملكية، لأرى نسيم يمتطي الجواد خلفَ سمر والناسُ تحدق بها في رهبة، فلن يَنسَوْا لحظة قطعها لرأسِ جربوع، فقد باتت الآن أقوى مُحاربةٍ في البلاد.

لوّح نسيم بيده إليّ، فقلتُ لقيصر الذي كان يحدق بهما:

_تعال معي.

فأجابني بالرفض، فقلت له:

_حسنا إذن، سأَذهب إليه وحدي.

فهزّ رأسه إيجابا، وتوجهتُ مباشرةً له، لقد مرّ وقتٌ طويل على رؤيتي سمر، كنت أُحدق بها، لقد تَغَيرت حقاً، يبدو أَنها أَصبحت أَقوى بكثير عن السابق لتوليها مهمة تدريب النخبةِ من جُنود سامو، بينما كنتُ أُحدق بها قالت:

_ما خُطبك إلياس، أَتريدُ مبارزةً أو ما شَابه ؟

فقلتُ لها متلعثما:

_لا لا، ومن يستطيع الصمود في وجهِ أقوى محاربةٍ في البلاد

فقال نسيم بعد أن وثب عن الجواد وتَبِعتهُ سمر:

_إلياس محاربٌ عظيم، فلهُ الفضلُ في تعليمي فقالت سمر ممازحةً لي:

_حسنا إذا ، سأبدأُ نزالاً مع مُعلمك فضربها نسيم على كتفها بلطفٍ ممازحاً وقال:

_أَتُريدين أن تتوقف الحياة في تانتوك ويأتي كامل شعبها لمشاهدة هذا النزال!!

فتعالت أصواتُ ضَحكاتنا، ليشُق ذاك السهم القادم من الخلف طريقه نحونا مُتجها لصدرِ نسيم مُباشرة لولا أن قامت سمر بضربِ كتفها به لتدفعه بعيداً ويسقط أَرضا، ليستقرّ السهمُ في ضلعها، فنظرتُ إلى الخلف لأرى من الذي أطلق هذا السهم، لأجد قيصر يحمِلُ قوسه وهو ينظرُ إلى سمر ويَرتعش خوفاً، إلى أن سقط القوس من يده وفرّ مفزوعاً، لم أتوقع قط أن يقوم بفعلٍ قذرٍ كهذا، لكني أدركتُ الآن لماذا كان يتدربُ جيدا على رميِ السهام، وعَلمتُ ممن يريدُ الانتقام، عليكَ اللعنةُ يا قيصر، أَزحتُ نظري بإتجاه سمر، لأرى الكارثةَ بأُم عيني أسطُورةُ تانتوك تجثو على ركبتيها أمامي.

[سمر]

لمحتُ ذلك السهم المُتجه إلى صدرِ نسيم مباشرة غير مصدقةٍ لما يحدث فما كان مني إلا أن دفعته بكتفي ليسقط أرضا ويستقر السهم في ضلعي، فجثوتُ على ركبتيَّ ممسكةً بالسهم، وأنا أُحدق بذلك الفتى الوضيع الذي قام بقذفه، وهو يرتعش خوفاً فسقط القوس من يده وفرّ مفزوعاً، أَذكرُ ملامحه جيدا عندما رآني وأنا أَقطعُ رأس جربوع، وقفز من بين الجماهير يبكي على جثته، نعم أَذكرُ نظراته القاتلة لي حينها، لكني لا

أَعلمُ سببَ اِستهدافه لنسيم، ولم أتوقع أن يكون وضيعٌ مثله سبباً لنهايتي.

سالت دمائي الحمراء على الأرض وإلياس إليّ غيرَ مُصدقٍ لما يراه وعلاماتُ الصدمةِ ملأتْ وجهه والناسُ يحدقون بِهَلعٍ لا مثيل له، وكادت عُيونهم تَسقطُ من مَحجرِها لهولِ ما رأوه، بدأت الناس تَصرُخ وتتخبط في بعضها البعض ويرددون كلمةً واحدة (الأُسطورة ... الأُسطورة)، ليَنهض نسيم من مكانه ويجثو على ركبتيه مواجها لي وتجمعت الدموع في مقلتيه، وقال:

_ما الذي فعلتِه بحق السماء، السهم كان متجهاً نحوي لا نَحوك فسقطت دموعي أرضا، لتختلط في دمائي وقلتُ له بصوتٍ متحشرج:

_أخبرتك أن هذه مسؤوليتي، وعليكَ العودةُ لعالمك، فردّ وهو يمسح دموعي مِن على وجنتيّ:

_عهداً عليّ يا سمر، لن أدعكِ تموتين

فقمتُ بنزع السهم وأنا أَجِز على أسناني أُخفي ضعفي، وقلت له برقةٍ:

_أُحبك.

وقمتُ بجذب رأسه بكفي لأطبع قبلة الوداع على شفتيه، والجُنديانِ يَركضانِ نحونا، فما كان منهُ إلا أن سحب سيفه من غمده وَوَجَّهَهُ تجاههم، وقال:

_فليجرؤ أَحد على الاقتراب منها.

فشن الجنديان هجوما، وحاربهم نسيم ببسالة، ليتدخل إلياس في صفه، ويحاربانهم سويا، ويقضون عليهم، إلى أن خرج صوتٌ مُزلزل من أمام القصر الملكي وكان هذا صوت اللعين صخر، فقال:

_اقتلوهم وأحضِروا الفتاة حيةً.

لينطلقَ قُرابةَ العشرين جنديا نحونا مُخرجين سيوفهم من أغمادها في حركةٍ منتظمة، والشرُّ يَشع في عيونهم، فما كان من إلياس إلا أن أمسك بيدِ نسيم ليتجه نحو الجواد ليعترضَ نسيم ويقولَ له بصوتٍ غاضب:

_اِذهب يا إلياس، لن أدعهم يأخذون سمر فقلتُ لنسيم مُتوسِلةً له:

_أرجوكَ يا نسيم اِذهب بسرعة.

فبقي ثابتا يُحدق بهم غيرَ مبالٍ لما قلته تواً، فأكملت:

_إن كنت تُحبني بحق، اِذهب مع إلياس، وعليك أن تُساعد

المحارب ذو الرمح الأسطوري، ولا تكترث لأمري فتحركت مشاعره، لينظر إليّ بحزنٍ، ويمتطي الجواد خلف إلياس الذي لكزه بقوة لينطلق بهم مُبتعدا بسرعةٍ قصوى، ويقوم الجنود بتكبيلي ومن ثم اِقتيادي للقصر

[قوباس]

اِنتشر خبرُ الإمساك بالأسطورة بسرعةٍ كبيرة، كاِنتشار النار في الهشيم، فقد جابَ هذا الخبرُ كل أرجاء تانتوك، إلى أن وصل إلى قوباس ليهُزَّ قصر الزعيم قيس.

هذا ما يحدث الآن داخل القصرِ، اِجتماعٌ طارئ بين الزعيم قيس والملك جبل، فقد فُتحت بوابة القصر على مصرعيها، ليتقدم داخلها الملك جبل وابنه أُسامة، ويبدأ الاِجتماع مباشرةً

قال الزعيم قيس للملك جبل:

_لقد كُشف أُمرُ سمر وها هي في قبضتهم.

رد عليه الملك جبل:

_وكيف حصل هذا؟

فقال قيس:

_لا أَعلم، لم تنم سمر لأرى ما حدث.

ثم صمتَ لهنيهة وأَكمل:

_سيُجهزون مراسم إعدامها غداً ولن يقوموا بغزونا، فجُنوده ستتحول لحيواناتٍ ضارية ويُسخرها لحماية المنصة ومحيطها، كي لا يستطيع صاحبُ الرمح الأسطوري التوغل هناك.

فقال الملك جبل بثقة:

_حسناً إذا، سأقومُ غداً بتجهيز أَساطيل بحرية اِستعدادا لغزوهم من بحر ديتا، ولا أَظن أن يتوقعوا تلك المفاجأة، وأَنت ستغزوهم من الشمال.

فقال الزعيم قيس بنبرةٍ يشُوبها القلق:

_لكن هناك مشكلةٌ كبيرة.

رد عليه الملك جبل مستفسرا:

_ماهي ؟

فقال قيس بعد أن زفرَ زفرةً قوية:

_لقد أرسلنا المحارب ذو الرمح الأُسطوري إلى تانتوك، فإن أمسكوا به سينتهي كل شيء.

رد عليه الملك جبل:

_لا تقلق، ستكون سمر وضعته مُسبقاً في مكانٍ آمن قبل كشفها

فقال الزعيم قيس:

_سأرى هذه الليلة ما حصل مع سمر بالتفصيل، وسأقوم بتجهيز الجنود والأسلحة اِستعدادا لغزوهم الليلة القادمة .

[سمر]

ألقوا بي داخل الزنزانة في القصر الملكي، بعد بضعِ دقائقٍ فقط قدمت إليّ طبيبة من أمهر أطباء تانتوك لتطهير جُرحي وتضميده، فهم يريدونني حيةً لإعدامي ليلةَ غد، لم أتوقع أن تكون نهايتي هكذا، لقد كُشف السر وضاعت أحلامُ شعبِ قوباس، فلن يسترد حقه إن أُعدِمتُ على المنصةِ غداً، لقد نفذت كلُ الحلول، وفي آخر اللحظات لم يكن القدر حليفا.

فُتح باب الزنزانة ليتقدم سامو وصخر داخلها، وعلاماتُ الغضبِ ملأَت وجوههم، كنتُ مكبلةَ الأيدي والأقدام، فقال الملك سامو وهو ينظُر ناحيةَ الجرح:

_لم أتوقع أبدا، أن تطأ قدميكِ أرض تانتوك، يا لشجاعتِك أيتها الحمقاء.

لم أَرُد عليه واِلتزمت الصمت، فقال صخر:

_كنتُ أتعجب من تصدي قوباس لكل مخططاتنا السرية، وقَتلِهم لكل من نرسلهم ثم أكمل:

_إذن كنتِ خلف كل هذا أيتها الوضيعة.

فقلتُ لهُ مفتخرة:

_نعم، ولو تَفُكّ قيدي الآن لن أتردد للحظةٍ واحدة عن قطعِ رأسك

فأقدم عليّ غاضبا ليجثو على ركبتيه مقابلي، ويجذبني من شعري بقبضته الغليظة ويقول:

_كُنتِ تخونيني طوال تلك المدة.

فأجبته بإبتسامةٍ ساخرة:

_ومتى إنتميتُ لك حتى أخونك.

فتنحنح سامو وقال:

_للأسف، ستلقين حتفكِ غداً، ولتحظي بشرف موتك في الليلة المقدسة.

إلتزمت الصمت، فقال صخر:

_لقد أَعانكِ ذلك الشخص الإكواندي والخائن إلياس والخائنة زينب على التخفي.

فأجبته مُستنكرةً:

_لم يُعنني أحد، فقد فعلتُ كل هذا وحدي فأخذ يُقهقه بصوتٍ مرتفع، وقال:

_أَكلُّ هذا حبٌّ لهم، لا عليكِ سأقتلهم واحداً تلو الآخر، أمامَ عينيكِ أيتها الوضيعة.

فقلتُ له بفخر:

_يسرني القول أَنهم غَدوْا محاربين أقوى مني.

فكزّ على أسنانه وهو لا يزالُ يحكم قبضته على شعري، وقال :

_لا تفتخري كثيراً أيتها اللعينة، فمَراسمُ إعدامك سَتُجهزُ الآن، ولِتنعمي بآخر يومٍ في حياتك داخلَ الزنزانة بسلام.

فما كان مني إلا أن بَصقتُ في وجهه، فنهض على قدميه ومسحَ وجهه بكفيه وقال ببطء:

_كَما تشائين، سأجعلُ ليلتكِ الأخيرة أسوء من الجحيم.

ثم صرخَ في حارس الزنزانة بغضبٍ طالباً منه أن يُحضرَ زينب من الزنزانة الأُخرى، فأتى بها فورا، ثم قام صخر بجذبها من شعرها وصفعها على وجهها لتُطرحَ أرضاً وهي تصرخُ وتنوح، ظلّ يصفع بها بإستمرارٍ وبقوةٍ كالمجنون إلى

أن قام بسحبِ سيفه من غمده ونظرَ لي بسخريةٍ ممزوجةٍ بالغضب وقال:

_ها هي ستُقتلُ أمام عينيكِ وأنت عاجِزةٌ عن فعلِ أي شيء

فصرختُ به مُتوسلة:

أرجووووووك ، تووووووقف

فقهقهَ بصوت مرتفع وقال:

_أنتِ من اِخترتِ أن تعيشي هذه الليلة بجحيم.

وقام بضرب رقبتها بحدِ سيفه ليسقطَ جسدها في جهة، ويسقطَ رأسها عند قدمه وتُغمر أرضُ الزنزانةِ بالدماء السوداء، ليَركل رأسها بقدمه ليستقر أمامي، ثم يقول:

_لن أَحرِمكِ من رؤية وجهها البشوشِ حتى لحظةَ إِعدامك

فقال له الملك سامو:

_أرسل الجنود إلى الساحرة بلقيس لتدلهم على مكان اِختباء المحارب ذو الرمح الأسطوري ومكانِ اختباء الشاب الإكواندي والخائن إلياس، وأَرسل معهم السيوف الذهبية.

فأومأ برأسه إيجابا ليتجه هو ووالده خارجَ الزنزانة ويُغلقَ بابها خلفهم، فلم يعُد داخلها سواي ورأُسُ زينب وصدى صوتي الذي يصرخ باسمها ... زيييينب

[نسيم]

على شاطئ بحر ديتا، نعم على الشاطئ الذي اِعتدت الجلوس على رماله مع محبوبتي، واِعتدت أن أرى نسماتِ الهواء وهي تداعب شعرها، اِعتدت النظر لعيونها التي كانت تبدو كالزمرد كلما سقطت عليها أشعة الشمس في الصباح، لكني الآن أجلس وحيدا، أجلسُ بينما هي تعيش آخر يومٍ لها في الحياة، أجلسُ بينما أنا من يستحق أن يكونَ في ذاكَ المكان، فقد ضَحّت بنفسها لأجلي.

_لِمَ لمْ تُخبرني بأمرها سابقاً يا نسيم ؟

قالها إلياس بنبرة عِتابٍ بينما كنتُ غارقاً في التفكير، فلم أَردّ عليه فكرر نفس السؤال فوقفتُ على قدماي وقلت:

_حتى أنا لم تُخبرني بإرادتها.

فقال إلياس:

_لكنك كنت تعلم بشأن هذا السر سابقا.

فقلت له:

_نعم علمتُ بشأنه عندما أَخبرتك أني سأذهب إلى قوباس لأمرٍ طارئ وفي طريقِ عودتنا ظهر لنا محاربٌ وتَبارزت معه سمر، وأصابَ ذراعها، فلو أَخبرتك بهذا السر لما اِستقبلتها في

منزلك

بدا وكأنه اِقتنع بما قلته.

ثم أَكملتُ بعد أَن أَطلقتُ زفيرا:

_ذلك الوغدُ قيصر كان يتدرب طوال تلك المدة على رميِ السهام لُيصيبني.

فقال إلياس:

_لو كنتُ أعلم غايتهُ مُسبقاً، لقتلته منذ البداية.

فقلتُ له:

_لا عليك، سيكون حسابه عسيرا معي.

فقال إلياس:

_الليلة سيحسمُ الصراع، فإما أن ينجليَ الظلمُ للأبد وإما أن يدوم

فقلتُ له بغضب:

_ولن أسمحَ بأيٍ منهم على حسابِ سمر.

فردّ علي باستغراب:

_ماذا تعني؟

فقلتُ له:

_لن أسمح بموتها.

فغرّ فاه وهو يحدق بي وقال:

_هل جُننت ؟

فقلتُ:

_لا ، بل حبها من جعلني مجنونا.

فقال بغضب:

_نسيم، أن لا تدرك عواقب ما تقوله، فإن لم تضرب سمر بالرُمح الأُسطوري الليلة، فسنخسرُ كل شيء، كما أنه سيتم قتلنا بعدها

فقلتُ لهُ:

_لكنها فدتني بروحها يا إلياس ألا تَستَحِقُّ أن أَرُدَّ لها جَميلها

فرد عليّ إلياس:

_بلا، وتستحِقُّ أكثر من ذلك، لكن لا خيارًا آخر لدينا، هي ليست أَنسَبَ طريقة، لكنها الوحيدة.

ثم أكمل:

_ولقد وعدتني يا نسيم أنك ستُساعدني في اِنتقامي.

فقلتُ له:

_نعم، وأنا عِند وعدي.

فإبتسمَ إلياس وقاطعَ حديثنا أصواتُ هملجة مُرتفعة، لتتوقف عند الكوخِ الذي تقطن به الساحرة بلقيس، فقد كنا على بُعدٍ لا يمكنهم من رؤيتنا، فأَدركتُ هذه اللحظة أن صخر أَرسلهم لمعرفة مكان المحارب ذو الرمح الأُسطوري عن طريق الساحرةِ بلقيس، ليقضوا عليه ويسلبوا الرمح منه فقال إلياس:

_علينا أَن نأخذ الرُمح من المحارب ونهرب بسرعة، وإلا سيسلبونه منه.

فهززتُ رأسي إيجابا وذهبنا مسرعين تجاه الكوخ الذي يقطن به، فطلبتُ من إلياس أن ينتظرني في الخارج، ثم تقدمتُ داخله وقلتُ له:

_أيها المحارب، لقد كُشفَ أمر سمر، وقد تم تجهيز مراسم إعدامها، وعلى الأغلب لن تستطيع الإِقتراب من المنصة لإِنتشار الجنود بشكل هائل.

فردَّ عليَّ بغلاظة:

_ماذا تريد ؟

فقلتُ له:

_أُريد الرمح الذي بحوزتك، وأُريد منك أن تغادر هذا المكان حالا، فجنود سامو سيصلون إلى هنا في غضون بضع دقائق لقتلك وسلب الرمح منك.

فقال ببرود:

_أُغرب عن وجهي، وإلا قتلتك.

فقلت لهُ بغضب:

_ما الذي تقوله، يبدو أن الكلام لن يُجديَ نفعاً معك، فقال بغضبٍ بعد أن سحب سيفه:

_أعلمُ هذا، ولن تأخذه إلا على جثتي.

فما إن خرجت من فمه تلك الكلمات ليليها خنجرٌ ينطلق في الهواء بسرعة في حركةٍ دائرية ليستقر بين عينيه وتخرج الكلمات من فم إلياس:

_لك ما أَردت.

فنظرتُ إليه بدهشةٍ وهو يسقطُ أرضا ومن ثم اِلتفتت لإلياس وقلت له:

_ما الذي فعلته إلياس؟

فردّ علي:

_أَسرع يا نسيم وأَحضر الرمح معك فلا وقت لدينا للنقاش فهززتُ رأسي إيجابا، وذهبتُ لجثته وإلتقطتُ الرمح منه واتجهتُ مع إلياس بسرعة خارج الكوخ لتكون المفاجأة.

أَربعةُ جنودٍ بإنتظارنا على أعتاب الكوخ، يتقدمهم محاربٌ ببضعِ خطواتٍ فوثب عن جواده وقام بالتصفيق وهو يرمق الرمح الذي بحوزتي بنظراته وهو يقول لإلياس:

_أَحسنتَ صُنعا أيها الخائن.

فقال له إلياس بجدية:

_ماذا تريد؟

فرد عليه بنبرةٍ ممزوجة بالسخرية:

_إن سلمتنا الرمح بهدوء، أعدك أَن يصفح عنك صخر، ويعطيكَ فرصةً أخرى.

فقال له إلياس بسخرية:

_وإن لم نفعل ؟

فقال له الجُنديُّ بغضب:

سنأخذهُ وأرواحكم.

فرد عليه إلياس:

_وما الذي تنتظره إذن ؟

فإستشاط هذا الجُنديُّ غَضباً، لينزل عن صهوةِ جواده ومُحاربيه، ويشن هجوما.

تقدم إليّ محاربان وكذلك إلياس، وكان هذا أول نزال لي ضد مُحارِبَيْن، توقعتُ أن يكون الأَمرُ صعباً، إلا أنهم خيبوا ظني، فضرباتي تفوق سرعة ضرباتهم سويا، فقمت بسحقهم بكل سهولة، لأنظر إلى إلياس الذي قد سبقني في قتلهم وقال:

_أحسنتَ صُنعا يا نسيم، والآن دَعنا نرتدي ثيابهم كي نتسلل بالقرب من المنصة دون أن يشعر بنا أحد.

اِنتهينا من اِرتداء ثيابهم العسكرية ليقوم إلياس بكشف الغطاء عن الرمح الأُسطوري ليشع ببريقه الأَزرق، فقال إلياس وعلامات الدهشة قد مَلأَت وجهه:

_لم أَتوقع في حياتي قَط أن أحظى بشرف حملِ هذا الرمح الذي سيشعرني بلذة الانتقام من سامو، فقد عاهدتُ نفسي أن أنتقم وأكون السبب في فناء عرشه.

ثم اِلتفت إليّ وأكمل:

_لكن هذه الليلة ستنتشر الجنود بشكل رهيب قرب المنصة، يجب علينا إيجادُ طريقة مناسبة كي أستطيع قذف الرمح في صدر سمر لحظة صعودها على المنصة.

فأخذنا نفكر بعمق إلى أن قلتُ له بإبتسامة:

_وَجَدتُها.

فرد بلهفة:

_أخبرني.

فقلتُ له:

_لا عليكَ إلياس، فقط ابقَ قريبا من المنصة، وعندما ترى حالة التخبط في صفوف الوحوش التي تحيط بالمنصة لحظة أَن ينتهي سامو من خطابه، فاظهر أمامهم برمحك واقذفهُ في صدرها

فنظر إليّ متعجبا وقال:

_وما الذي ستفعله؟

فقلتُ له بثقة:

_دع الأمر لي، فقط نفذ ما قلته لك.

فأومأ برأسه إيجابا ، ثم قلتُ له:

_سننطلق لحظة غروب الشمس، حتى نستطيع التخفي في الظلام.

[قوباس]

اِقتربت الشمس على الغروب، وتبقى على اِكتمال القمر بضعُ ساعات لتُحسمَ تلك الليلة، فإما المجدُ الأبدي، أو الخضوع، لقد وصل الملكُ جبل أرض قوباس، لتُفتحَ بوابةُ القصر، وينتظم الجنود لإستقباله، ليدخل القصر ويجلس بجوار الزعيم قيس، صمتٌ عارمٌ، تكاد تَسمع فيه دقاتِ قلوبهم، من هول ما سيحصل هذه الليلة.

فقال الزعيم قيس:

_لقد قمتُ بتجهيز الجنود ونشرتهم على حدود تانتوك وها هم ينتظرون شارةَ الهجوم.

فرد عليه الملك جبل:

_عملٌ عظيم، وجنودي أيضا على أهبة الإستعداد داخل الأساطيل البحرية.

فقال له قيس وعلامات القلق ملأت وجهه:

_لا أَعلمُ شيئاً عن مصير المحارب ذو الرمح الأسطوري، لذلك سنخوض حرباً ونحرص على أن نعودَ بسمر حية.

فرد عليه الملك جبل:

_لكن الأَمر لن يكون بتلك السهولة، فلحظة اِكتمال القمر، سيتحول جنوده إلى وحوش ضارية تلتهم كل من يقترب من المنصة.

ففكر قيس قليلا ثم قال:

_على الأغلب سيكونون مستعدين لأي هجوم محتمل من جبهة قوباس، ولكن إن تم ضربهم من جهة بحر ديتا فستكون مفاجأةً لهم وتتخبط صفوفهم.

فأخرج الملك جبل خريطةً ووضعها أمام قيس وبدأ يُشير بسبابته إلى مناطق معينة منها ويقول:

_لحظةَ صعود سمر على المنصة، سيباشر سامو بإلقاءِ خطابه الملكي، وبالتالي لن يقوموا بإعدامها إلا بعد أن يأمُرَ بإحراق الأطفال لتتحول أجسادُ جنوده إلى وحوشٍ ضارية، وبعد إحراقهم ستكون أساطيلنا الحربية المحملةُ بالجنود والمجانيق الحارقة قد رست على شاطئهم، وسَنَدكُّ بها باحات المنطقة الملكية دكاً، وفي هذه اللحظة سيذهبُ عدد كبيرٌ من الوحوش إلى شاطئ ديتا لمواجهتنا، وستقوم أَنت بغزوهم من الشمال واِقتحام المنصة لأَخذ سمر إن اِستطعت، أو منعِ إعدامها على الأقل.

فقال الزعيمُ قيس:

_إذن ستكون نيران حرق الأطفال وتصاعد دُخانهم إلى السماء هي شارةُ بدءِ القتال.

فوافقه الملك جبل، وإستأذن منه بالمغادرة ليكون عند جنوده في بحر ديتا.

[اكتمال القمر]

اِنتهى العدُّ التنازلي وقد تم تجهيزُ باحاتِ القصر الملكي اِستعداداً لإعدام الأُسطورة ذات الدم الأحمر، هذا اليوم المقدس الذي سيفصل النزاع بين الحق والباطل، والذي ستكون ضحيته سمر، فإما أَن تُعدم وإما أن تُضرب بالسهم الأُسطوري.

تجمع أَهلُ تانتوك في باحات القصر الملكي، أجواءُ صخب عمت بينهم وهم يهتفون (المجد لنا، المجد لنا، عاش ملكنا عاش ملكنا) كان نورُ القمرِ ينيرُ القصرَ وباحاته، ومنصة الإعدام وسط الباحة، التي تُحيطها الجماهير مُشكلين حلقةً دائريةً ضخمة، وعلى يمين المنصة مئةُ طفلٍ مكبلي الأيدي والأقدام اِستعدادا لحرقهم، والجنودُ مرصوصة أَمام المنصة بِانتظام اِستعدادا لتحول أَجسادهم لوحوش.

على الجهة المقابلة قد رَست جنودُ كيتان على شاطئ بحر ديتا، وتم رصُّ المجانيق وكذلك أيضا على حدودِ قوباس، وكلاهما ينتظران لحظة إشعال النيران بالأَطفال ليبدأ الهجوم.

كانت المنصةُ تعلو الأَرض بمقدارِ مترٍ واحد فقط، ويوجدُ أسفلها قبرُ حاكم تانتوك الأصلي، وعلى أَرضيةِ المنصة نقشٌ لصورةِ هذا الحاكم الذي يتوسط المنصة ويقف خلف هذا النقش الجلاد الذي يرتدي ثيابا سوداء ويضعُ وشاحاً يغطي به وجهه ولا يَظهرُ منه سوى عينيه.

فُتحت أبوابُ القصر الملكي ليَقتادَ الحارسانِ سمر إلى المنصة فكانت مُكبلة الأيدي، ولم يكُفَّ الناس عن شتمها وهي في طريقها، كانت تمشي شامخةً مرفوعة الرأس، وكأنها تتقدمُ لحفل زفافها لا لإعدامها، وصلت المنصة لتقفَ على النقشِ وخلفها الجلادُ الذي سيسلبُ روحها.

أَصواتُ صخبٍ عارمة ممزوجة بالفرح الذي يتخلله نحيبُ الأُمهات على أطفالهم، لقد فُرِشَ البساطُ الملكي الأحمر في الطريق ما بين بوابة القصر والمنصة فخَرِست أَصوات الناس لهيبةِ هذا المُتجبر، الذي كانَ ابنه صخر وابنته سراب يسيرانِ خلفه، ليصلَ إلى المنصة اِستعداداً لإلقاء خطابه الملكي الذي

سيكونُ مختلفاً نوعاً ما عن سابقه.

تقدم الملك بضع خطواتٍ عن صخر وسراب، حيث كانت سمر تقفُ موازيةً له وتبعد عنه قُرابةَ العشرِ أمتار، والكلُّ يراقِبُ بصمت، ليباشر الملك خطابه:

_يا شعبَ تانتوك العظيم، يسرني القول أنه في هذه الليلةِ الاستثنائية نحظى بشرف الإنتصارِ على الأوغاد، فها هي أُسطورتهم التي عَلقوا أَملهم عليها تقفُ عاجزةً أمامكم تنتظرُ حتفها بأَمرٍ مني، وسيلقونَ حتفهم بعدها مُباشرةً، وسنستعيدُ أرضَ تانتوك كاملةً، فهذه الليلةُ الأَخيرة لفقدان أطفالكم الذين قدمتم أرواحهم في سبيلِ خدمة البلاد، لكني أعدكم أن يُحفر قبرٌ لها تحتَ هذه المنصة، بجوار الحاكِم، كي يشعُر كل فردٍ في تانتوك بلذةِ الفخر.

ثم طلبَ من الجلاد أن يعقد الحبلَ حول عُنقها اِستعداداً لإعدامها، في هذه اللحظةِ جاء مُحاربٌ ليخبرَ صخر بشيءٍ ما، ليقومَ صخر بإخبار والده بسرعة، فقال له:

_جنودُ مملكة كيتان قد رست أساطيلها على الشاطئ وقد رَصَّت مجانيقها اِستعداداً لضربنا، وجُنودُ قوباس أيضاً

انتشرت بكثافةٍ على الحدود.

فردّ عليه سامو:

_سأشعلُ النارَ الآن وأُرسل الوحوش لهم.

فهز صخر رأسه إيجابا، ثم أمرَ الملكُ بإشعال النار بالأطفال.

تصاعدت ألسنة اللهب إلى السماء، لتُحول أجسادَ الأطفالِ إلى عِظام ومن ثم إلى رماد ، فإنتشر الدخان في السماءِ وفي أجواءِ المنصة، لينظُر الجنود إلى القمر في حركةٍ نظامية فتزدادُ أحجامهم وتشقُّ ثيابهم، ويتشكلُ كلٌّ منهم على هيئة وحوشٍ ضارية تهتزُّ الأرض من زئيرهم، وهم ينظرون نحو الملك مُنتظرين شارةَ الإنطلاق.

في هذه اللحظة سقطت أولُ كُرةٍ نارية قُذفت من جهةِ بحرِ ديتا تَلتْها ضربةٌ أُخرى قادمةٌ من جِهة قوباس، ليأمر الملكُ ثلثي وحوشه بالانطلاق لِبحر ديتا وقوباس ويبقى الثلثُ الأَخير مقابل المنصة، فنظرَ سامو إلى الجلادِ وأمرهُ بإعدامها، لتتعالى أصواتُ الفرحِ بين الناس وهم يرددون (عاش الملك، عاش الملك) ليتقدم الجلادُ ويُمسك طَرَف الحبل المُلتفّ حول عُنقِ سمر بقبضتيه ليستعد لرفعها، إلا أنه تأخرَ قليلا، ليصرُخ الملكُ

سامو فيه:

_أسرع أيها الأحمق.

فما كانَ منهُ إلا أن أزاحَ الغطاء عن وجهه لينتفض جسدُ صخر وهو يقول:

_أنت !! مسسستحيييل.

[نسيم]

نظرتُ له بطرف عيني، ورددتُ عليه:

_نعم ، إنهُ أنا أيها السافل.

ثم قمتُ بسحبِ خَنجري لأضعه على عنق سمر وأصرُخُ قائلا :

_إلياااااس.

ليخترق الجماهير ويمرُّ من بين الوحوش حاملاً الرمحَ الأسطوري الذي شعَّ بريقه الأزرق، فأخذ إلياس وضعية الإستعداد على بعد عشرين مترا من المنصة، فنظرتُ لسامو بغضبٍ وقلتُ له:

_أخبر وُحوشك، إن قاموا بأي حركةٍ غبيةٍ لإلياس، فلن يتردد عن قذف الرمحِ في صدرها، لتكون نهايتك.

فبقيَ ساكِنا يحدق وابنه صخر بيَ، فصرختُ فيه:

_هياااااا

فنظرَ إلى وحوشه بسرعة وقال:

_ابقو ثابتين، إياكم والإقتراب من إلياس.

فقلتُ له:

وأنتم أيضاً إن تَحركمتم من مكانكم، ستكون نهايتكم.

ثم همستُ في أُذنِ سمر:

_ها قد أَتيتُ حَبيبتي.

فردت والدموع تنسَكِبُ من مقلتيها:

_ما لذي تنوي فِعله نسيم.

فقلتُ لها:

_لا شيء، فقط اِشتقتُ إليكِ وجئتُ لأُودعكِ

ثمَّ قمتُ بقطع الحبل المُلتَف حول عنقها وأَكلمت:

_لِمَ تبكِي أميرتي ؟

فازداد نحيبها وقالت:

_يؤلمني وداعُ من أَحبَبتْ.

ثم أَكملت بصوتٍ مُتحشرج:

_أُريدُ عِناقاً، عناقاً يُنسيني ما ذُقته من مرارةِ الليلةِ الماضية

فقلتُ لها:

_أَعِدُكِ بأن أُذيقُهم وَيْلاً يُنسيهم حلاوةَ ما عاشوهُ من أيام ثم التفتت إليّ واِعتصرتني بذراعيها ودفنت رأسها على صدري وأخذت تجهشُ بالبكاءِ وتقول:

_أُحبك ، أُحبك.

فصرخ إلياس وقال:

_لا وقتَ لدينا نسيم، أُتركها واِبتعد، فكُرات المجانيق تَنهالُ علينا في الباحة بغزارة.

فرميتهُ بنظرةٍ ففهِم ما أقصده، ثم حملتُ رأسها بكفي وقلتُ لها :

_أَتذكرين ذاك الوعد الذي قطعتهُ يا سمر ؟؟

فقالت:

نعم أَذكره.

فقلتُ لها:

_جيد.

في هذه اللحظة كانت جنود قوباس قد اقتحمت باحات القصر واقتربوا من المنصة هُم وجُنودٌ آخرون قد قدموا من ناحية بحرِ ديتا، ليشاهدوا هذا المشهد المرعب ويقفوا دون حَراكٍ يراقبون ما يحدث :ليصرُخ الزعيمُ قيس في إلياس قائلاً:

_أنت، ما الذي تنتظره اقذف الرُمحَ في صدرها الآن وإلا قتلتُك

لِينظُر له إلياس بغضبٍ ويقول:

_إن لم تَخرس، لن أَترددَ للحظةٍ عن غرسِ الرمح في صدرك.

فصمت الزعيم قيس لأُكمِل وداعي لمحبوبتي:

_هل أنتِ مستعدةٌ للرحيلِ أَميرتي ؟

ففاضت عيناها، وقالت:

_نعم فطبعتُ قُبلةً على وجنتيها وأَمرتُها أن تستديرَ وتُغمض عينيها، فَفَعلت ذلك، ثم نظرتُ إلى سامو وصخر بغضب وقلت :

_ستلقَوْنَ حَتفكم أيها السفلة.

ثم نظرتُ لإلياس وقلت:

_هيا يا إلياس إقذف الرمحَ في صدرها.

فقام إلياس بقذف الرمح الذي كان يبدو كالرعد في بريقه والكلُّ يحدق بذهول، ليختلطَ صُراخُ سامو وصخر وسراب والوحوشِ والجماهير.

_لاااااااااااااااااااا

فقلتُ هامساً لسمر:

_سامحيني سمر، سامحني إلياس.

لأَدفع سمر من مكانها فتسقط أرضا ليخترقَ الرُّمحُ قلبي.

[سمر]

أَغمضتُ عيني وإستدرت مُقابلَ إلياس ليقذف الرمح في صدري فسمعتُ همساً لنسيم في أذني:

_سامحيني سمر، سامحني إلياس.

ثم شَعرتُ بشخصٍ يدفعني لأَسقُطَ أرضا، فأزحتُ رأسي لأرى الرمح مغروساً في صدر نسيم، والكل يحدق في دهشة، سامو وصخر وسراب وإلياس والزعيم قيس والملك جبل والجنود والوحوش، وهو ينظر إليّ، صمتٌ عارم ممزوجٌ برُعبٍ خالِص جاب أنحاء المنصة وباحاتها، فجثا نسيم على ركبتيه، وقال وهو يبتسم:

_لقد قمتُ بسدادِ ديني، والآن سأموت بسلام.

ثم سقط جثةً هامدة.

لم أُصدق ما رأته عيني، لقد قُتل لأجلي، لأجلِ أن أبقى حيةً.

فأَطلق سامو وابنه صخر قهقاتٍ مرتفعة وهو يقول:

_لقد أرعبتني بحقٍ أيها اللعين.

فقلتُ له ولمْ أُزح نظري عن دمائه التي غمرت أرض المنصة وملأت فراغات نقشِ حاكم تانتوك

_لا عليك، سترتعب الآن.

لتتسع حدقتا عينه وهو يحدق بدمائه الحمراء ويترنح للوراء ويقول:

_مستحيل، دماءٌ حمراء.

اهتزت أرضُ تانتوك هزةً عنيفة، لتَعُمَّ الفوضى بين الناس، وتتخبط الوحوش ببعضها، فلَوحتُ بيدي لإلياس ليُعينني على إنزال جسده من على المنصة، ففعلَ ذلك، أَومضت السماءُ ببرقٍ تلته شرارةُ رعدٍ قَدحت دماؤه المُنسكبةُ على المنصة لتشق أرضيتها مُشكلةً حُفرةً عميقة داخلها، لتخرج منها يدٌ زرقاءٌ ضخمة تقبضُ على حافةِ الشقوق، ليقف ذلك المارد بقامته، كان لونُ جلده مُزرقاً، الكلُّ يحدق به في هلع، ليفتحَ هذا المارد فمه ويزأرَ زأرةً، اهتزت أرضُ تانتوك من شدتها، لِيليها تشققٌ في الأرضِ لتخرج منها وحوش لا تعد ولا تحصى، يأتون من كل حدبٍ وصوب.

صدمةٌ كبيرة أَصابت الملك وحاشيته وجماهيره وسطَ فرحةٍ من جنود قوباس وكيتان، ليبدأ هذا الوحش بمهاجمة وحوشِ سامو،

حيث كان يسحقهم كالأقزام، وباشرت بقية الوحوش بمهاجمة حاشية الملك بكل شراسة.

معركة طاحنة دارت في باحات القصر الملكي لا يُسمع منها سوى أصواتُ الزئير ونهشِ العظام ، غمرت الدماء السوداء أرض المملكة، فنظرتُ لوجه نسيم وأنا أحملُ رأسه بكفي، وقلتُ لإلياس الذي كان يُراقب بهولٍ ما يحصل:

_ابقَ هُنا ولا تتحرك.

فرد عليّ:

إلى أين ستذهبين.

فقلتُ له:

_لدي حسابات أُصفيها مع سامو وأبنائه.

فقال متوسلا:

_أرجوكِ يا سمر، كنتُ أنتظرُ هذه اللحظة بفارغ الصبر، اسمحِي لي بالقضاء عليهم.

فهززتُ رأسي إيجابا، وإلتقطتُ الخنجر من على الأرض وتوجهتُ وإلياس لسامو الذي كان ينظر وهو يرتعش، لم أجد صخر على المنصة، بينما كانت سراب بجانب والدها، ذلك اللعين صخر قد فر.

وقفتُ مع إلياس مقابلَ سامو، فترنح للوراء بخطوتين وقال وهو يرتعشُ خوفاً:

_أتوسل إليكم لا تقتلوني.

فقلتُ له:

_لا تقلق، لن أُلطخَ يداي، بدماءٍ قذرة كدِمائك وابنتك.

فقال له إلياس بسخرية:

_أما أنا فلن أشفق عليكَ أيها الوغد.

فقام إلياس بسحب الخنجر الذهبي من على خصرِ سامو وقال له:

_أتدري ما شعور الأمّ عندما ترى ابنها يُقتلُ أمام عينيها ؟؟

لم يتحرك قيد أنملة، وهو يحدق بإلياس في ذُعرٍ، فأكملَ إلياس :

_حسنا سأريكَ بعضاً من هذا الشعور.

فشقَّ عُنُقَ سراب أمامه لتسقط جثة هامدة، وأبوها يحدق بها، فالتفتَ إلى إلياس وقال:

_أرجوك دعني أعيش ، سأجعلكَ حاكماً لتانتوك.

فرد عليه إلياس بغضب:

_عَهدُك قد ولَّى أيها الحقير.

وقام بغرَسِ الخنجر في عنقه ومن ثم أخرجه ليوجه طعناتٍ عديدة لجسده إلى أن رمى الخنجر من يده وتوجه لجثة نسيم ليدفِن رأسه في صدره ويقول باكياً.

_أنا من قتلتكُ يا صديقي، أنا من قتلتك.

فذهبتُ له وربتُّ على كتفه وقلتُ له بصوتٍ مُتحشرج:

_لا يا إلياس، أنت لم تقتُله، بل حبي من قتله، فقد آثرني على نفسه.

اِنتهت المعركة بعد أن التهمت الوحوش حاشية الملك وجنوده باستثناء من وقفَ مُسالماً من الجماهير، فعادت الوحوش التي خرجت من الأرض لشكلها الطبيعي، وأصبحوا بشراً عاديين.

كنتُ أتأملُ نسيم وهو جثةٌ على الأرض، لقد قتل نفسه لأجلي، فضل الموت في تانتوك على العيش في عالمه، ألهذه الدرجةِ أحببتني يا نسيم ؟؟

أحاطَ بي الناسُ في حلقةٍ دائرية كبيرة وأنا واقفةٌ أمام جثته حيث كان إلياس يحملُ رأسه ويبكي، فخرج من هذه الحلقة رجلٌ كبيرُ السن ذو شعرٍ طويل أبيض ولحيةٍ بيضاء ومن ثم خَرج الزعيم قيس والملك جبل، ليقول الزعيم قيس وهو ينظُرُ إليّ:

_كانت هذه مُفاجأةً كبيرة، أن يمتلك أحدٌ غيرَكِ دماءً حمراء

فقال الرجلُ المُسن:

_لولاه لما عُدنا.

فقلتُ له:

_من أنت؟

فردّ:

أنا حاكم تانتوك.

فقلتُ له:

هل تعرف نسيم:

_لا أعرفه، لكني أدركتُ أنه يمتلكُ غايةً نبيلة، فسيكون أهلاً لحملِ مسؤوليةٍ كهذه، لهذا قمتُ بإستدراجه من عالمه ليأتي إلى تانتوك

فقلتُ له بحزنٍ شديد:

_لقد حَوّلتَ شعبكَ إلى وحوش وحوَّلتَ نفسك إلى ماردٍ عملاق، أتعجزُ عن إعادته حياً ؟؟

فنظرَ إليّ باسماً وقال:

_بالطبع أستطيع، ولحُسنِ حظه أنكِ ما زلتِ على قيد الحياة.

فأخذ نفساً عميقاً ثم أكمل:

_لكن لن يستطيع أن يعيش هُنا إلا بعدَ الليلة القمرية من آخر العام

فنظرتُ له بغرابة وقلت:

_ماذا تقصد؟

فقال:

_أي أنه بمجرد رجوعه لعالمه سيعيش ويمكنه القدوم إلينا بعد عام

فقلتُ له:

_ولماذا لا يمكِنهُ أن يعيش معنا هنا؟

فردّ علي:

_لأنه سيُطبقُ عليه قانونُ تانتوك تلقائياً، ولا يدَ لي أصلا في ذلك، كما أن لا يدَ لي في إحيائه، فسيعيشُ بمجرد أن تدخُلَ دماءٌ حمراء في جسده.

فقلتُ له وعيناي فاضت بالدموع:

_أعِدهُ أرجوك.

فابتسم لي وقال:

حسنا إذن، لكن سيحتاجُ بعضاً من دَمك، أأنتِ مستعدة ؟

فأجبته بلهفة:

_نعم.

فإنحنى هذا المُسّن بجذعه لينزع الرمحَ الأُسطوريّ من صدره ومن ثم أخرج خنجراً من على خصره وضرب به ذراعي وقال:

_دعي الدماء تنسكب داخل الثقب في صدره.

فجثَوت على ركبتاي ووضعتُ ذراعي فوق جسده لتدفق الدماء داخل ثقب صدره وبقيتُ على هذا الحال، إلى أن قال لي هذا المُسن:

_يكفي هذا، ابتعدِي عنه الآن.

ففعلت هذا ليُمسَك المُسن بعكازه ويُشيرُ به فوق نسيم لتشعّ حدود جسده باللون الأزرق فالتأمَ جرحه وانتفضَ جسده، وقال الحاكم:

_هوُ حيٌّ الآن.

فأجبته باستناكر:

_ولمَ لمْ يتحرك ويفتح عيناه.

لأنه سيفعل ذلك لحظة عودته لعالمه.

فتوجهتُ لهُ وتحسست وجهه بأناملي وقلتُ في سري:

_لقد أحببتُك أيها الغريب، نعم لقد أحببتك.

_سأشتاقُ إليك.

فرفعَ هذا المُسِنُ عكازه إلى الأعلى، لتُفتَح فجوة تلتفُّ بشكل دائري وتشّع بلون أزرق، ثم أشار بعكازه لجسد نسيم، فإرتفع جسده باتجاه تلك الفجوة إلى أن إبتلعتهُ الفجوة واختفى، فقلتُ وأنا أنظرُ إلى السماء:

_سأكونُ بانتظارك نسيم.

فوضعَ إلياس كفه على كتفي وقال:

_لقد وفى بوعده لي، وساعدني في الإنتقام.

فقلتُ له:

_ووفى بوعده لي أيضاً، وفداني بروحه.

فشكرَ المُسن الملك جبل، على تعاونه مع الزعيم قيس في محاربة سامو ومن ثم إستأذن جبل بالرحيل إلى أرضه مع جنوده فأذن له المُسن ثم قال للزعيم قيس:

_علينا أن نُرمم باحات القصر الملكي من الدمار الذي حلَّ به من المعركة، وسأتخذُ قصره مكاناً لي.

ثم نظرَ إليّ الزعيم قيس وقال:

_سأُوكِلُ لكِ مُهمة تدريب جنود المملكة

فقلتُ له:

_سأفعل، لكن بعد أن أشفيَ غليلي.

فقال لي بِاستغراب:

_ماذا ستفعلين؟

فقلتُ له:

سأنتقمُ من صخر.

ثم استأذنتُ منهم أن عليَّ الرحيل، فنظرتُ لإلياس وقلتُ له:

_سآتي لكَ بين الحين والآخر، ربما سأحتاج مُساعدتك في العثور على صخر.

فأومأ برأسه إيجابا، ثم رحلتُ عنهم مُتجهةً لشاطئ ديتا.

[نسيم]

فتحتُ عيني لينعكس عليها الوميضُ الأصفر الصادر من المصباح، لأجدَ نفسي مستلقٍ على أرضية الغرفة التي دخلتُ إليها، فتحسستُ صدري بذهول، غيرُ مصدقٍ لما يحصل، فأنا مُتأكدٌ من أن الرمح قد اِخترق صدري، وقفتُ على قدماي ونفضت الغبارَ عن ثيابي، كلُّ ما يجولُ في مُخيلتي فقط هو سمر، أُريدُ أن أعودَ لها مرةً أُخرى، لا أعلمُ كيف تُفتَحُ هذه الفجوة، فاِلتقطتُ الكتاب من على الأرض وأَخذتُ أُقلبُ في صفحاته، لعلَّ شيئاً يحصل كما السابق وتُفتَحُ تلكَ الفجوة، لكن

لا أمل، يبدو أن علي المغادرة إلى منزلي لأَخذِ قسطٍ من الراحة، وسأعود لهذه الغرفةِ مُجدداً.

خرجتُ من الغرفة متجهاً للسلم، فنزلتُ درجاته وأنا أُفكرُ في سمر، وصلتُ الطابق الأرضي لأجد لين ودعاء ينظران لي بدهشة، شعرتُ بالقلقِ حيال هذا، فقد دخلتُ المنزل دون علم دُعاء، فصرخت لين باسمي وركضت نحوي لتُعانقني.

انتهيتُ من المصافحة، لتقودني دعاء إلى الصالة، وتطلُبَ من لين أن تأتي بمشروبٍ بارد.

فقالت دعاء:

_أخبرني ماذا حصل معك نسيم؟

فقلتُ لها:

رحلتُ إلى عالمٍ آخر يختلفُ عن عالمنا.

فقالت بعد أن قطبت حابيها:

_وكيف حصل ذلك وأنت دخلتَ غرفة المكتبة فقط فرددتُ عليها:

_هي ليست غرفةً عادية، ومن يدخلها تُفتَحُ له فجوة فيذهبُ لعالمٍ آخر.

قاطعنا دخُولُ لين وهي تحمل في يدها كأسا به مشروب بارد

وتقول مازحةً:

_وما سر الثياب التي ترتديها؟

فقلتُ لها باسماً:

_هذه ثيابُ جَلادِ المنصة.

فنظرت إليّ باستغراب، فقلتُ لها:

_إنها قصةٌ طويلة، لن يستوعبها عقلك.

فقالت دعاء:

_هل أَتيتَ بخبرٍ عن خالد؟

فنكستُ رأسي وقلت بحزن:

_للأسف، لقد تم إعدامه.

فغرّت فاها وهي تُحملق بي غير مصدقةٍ لما قُلت ثم قالت والدموعُ تجمعت في مُقلتيها:

_وكيف حدثَ هذا ؟

فقلتُ لها:

_إنها قصةٌ طويلة.

وزفرتُ زفرةً قوية وأَكملت:

_كما أنني مِتُّ أيضاً، لكن لا أعلم ما الذي حدث بالضبط لأجد نفسي على قيد الحياة، فأنا متأكدٌ من أن الرُمحَ الأسطوري

اخترق صدري.

فقالت دعاء مُستفسرة:

_الرمح الأسطوري ؟

فقلتُ لها:

_دعاء، أنا مُنهكٌ جداً الآن، سأذهبُ إلى منزلي لأخذ قسطٍ من الراحة، وأعدكِ أن آتي لكِ غدا لأسرد عليكِ كل ما حصَل في تلك الأرض.

فأومأت برأسها إيجابا، فأكملتُ:

_أريدُ ثيابا أرتديها لأذهب إلى منزلي، لا يمكنني الخروج بهذه الثياب الغريبة.

فطلبت دعاء من لين أن تحضر من غرفته ثياباً تُناسبُني، ففعلت ذلك، فإرتديتُها واِستأذنتُ منهم وهَممتُ بالمغادرة.

ها أنا الآن حُراً طليقاً أستنشقُ عِطر الوطن، وأجولُ في أزقتِه، غير مصدقٍ أنني قد نَجوتُ من تلك الأرض، لكن على أي حال لقد قمتُ بسدادِ ديني، وبَقيت سمر على قيد الحياة، أعلَمُ أنها غاضبةٌ مني، لكن لم أجد سبيلاً آخر لِأَفي بوعدي.

فقلتُ في نفسي:

_سأعودُ يا سمر.

_سأعود.

[إكواند]

[من داخل قصر الملك حمزة]

فُتحت أبوابُ القصر ليقوم الملكُ حَمزة بإستقبال صخر، فقال له :

_أخبرني ماذا حصل يا صخر؟

فردّ عليه بخيبة أمل:

_لقد حلّت بنا لعنَةُ تانتوك، وقُتِلَ أبي وأُختي.

فقال الملكُ حَمزة بعد أن غرَّ فاه:

_مستحيل، وكيف استطاعوا أن يضربوا تلك الفتاة بالرمح الأسطوري:

فأجابه صخر:

_لسوء الحظ، لقد قذفوا الرُمحَ في صدرِ شابٍ كنتُ أعتقد أنه من إكواند، لكني تأكدت أنه غريبٌ بعد أن سالت دماؤه الحمراء على أرض المنصة.

حدق به الملك حمزة بهلع وقال:

مستحيل، يُفترضُ أن تكون فتاةً فقط تحملُ الدماء الحمراء

فقال صخر بغضب:

_لن يهمني أمره، فقد قُتِلَ على كُل حال، والآن حان وقتُ محاسبة الخائنين، والإنتقام من كل شخصٍ كانت لهُ يدٌ في دمارنا

فقال الملك حمزة:

_أتُريدُ غزوهم ؟

فقال صخر مبتسما:

_سأبدأ في كيتان، سأسيطِرُ عليها بطريقةٍ ما، ثم أحتل تانتوك.

تم بحمد الله